

مباحث في علم البيان

د. سعد التميمي
أستاذ البلاغة والنقد والأسلوبية
في جامعة الامام جعفر الصادق (ع)
والجامعة المستنصرية

دار الاسلام :بغداد
الطبعة الاولى 2015

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى:

زوجتي وأولادي:

الزهراء

سارة

الحسن

سنا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأفصح الناس أجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن علم البيان هو أحد الفنون البلاغية، وقد اكتسب أهميته منها لما لها من مكانة عالية في النفوس، فهي ترشد الذوق الفني، وتكشف عما يتضمنه النص الأدبي من إمكانات وقدرات، وإذا كان علم المعاني يبحث في تركيب الكلام فإن البيان يبحث في الطرق التي يستطيع المتكلم من خلالها أن يصوغ كلامه، والتي غالباً ما تكون غير مباشرة وتحتاج من المتلقي نباهة وثقافة من أجل الوصول إلى القصد والكشف عما في التعبير من ملامح جمالية، وهذه الطرق تتمثل في فنون التشبيه والمجاز والكناية، وقد كتب عدد غير قليل من الباحثين في هذا الموضوع وبشكل خاص تلك الدراسات المنهجية التي يكون الغرض منها التعليم، ومن خلال اطلاعنا على معظم هذه الدراسات وجدنا أنها تدور في فلك واحد يتمثل بما طرحه كل من السكاكي والقزويني فلم يحاول هؤلاء الباحثون أن يعيدوا للبلاغة بشكل عام والبيان بشكل خاص عنصر التحليل الذي كان موجوداً عند الجرجاني ويسهل على الطالب الوصول إلى المفاهيم البلاغية، فضلاً عن أنهم لم يحاولوا التجديد أو الإضافة في الشواهد البلاغية فبقيت على ما هي عليه عند القدامى.

ومن خلال تدريسنا لمادة البلاغة بعلموها الثلاث (المعاني و البيان و البديع) في أقسام (اللغة العربية و الدراسات الإسلامية و علوم القرآن) في كلية الآداب في جامعة إب للفترة من 1997-2005م، وفي كلية التربية في الجامعة المستنصرية وجامعة الإمام جعفر الصادق (ع) للفترة من 2005 — 2014 رأينا أن الطالب يحتاج إلى إعادة النظر في المنهج الذي يقدم من خلاله الدرس البلاغي للطالب، وتوسيع دائرة الشواهد لتطول الشعر القديم والحديث مع تحليل هذه الشواهد، لكي يتسنى للطالب أن يفهم القاعدة البلاغية لا يحفظها فقط ولذلك سارعنا بتأليف هذا الكتاب الذي يشكل مجموعة المحاضرات التي ألقيتها على طلبة الأقسام المذكورة في المستويين الأول والثاني فضلاً عن طلبة الدراسات العليا (الماجستير).

والكتاب يتكون من ثلاثة مباحث تضمن الأول منها: التشبيه ومفهومه وأقسامه وبلاغته أما المبحث الثاني فقد تضمن: المجاز (المرسل والعقلي والاستعارة) مع تفصيل لأقسام هذه الفنون وقيمتها الفنية، بينما تضمن المبحث الثالث: الكناية بأقسامها الثلاثة المشهورة ثم بيئنا في هذا المبحث

القيمة الفنية للكناية، وقد حاولنا الإفادة من معظم المصادر والمراجع البلاغية القديمة والحديثة فضلاً عن محاولتنا تسهيل القواعد البلاغية كي تكون قريبة من الطالب.

أخيراً لا بد من الإشارة إلى أن هذا الجهد المتواضع لم يكن بأكمله جديداً وقد سبقنا في هذا المجال عدد كبير من الباحثين ولكنه تضمن بعض التجديد في المنهج والتناول.

أ.م.د. سعد التميمي

أستاذ البلاغة والنقد والأسلوبية

جامعة الإمام جعفر الصادق (ع) والجامعة المستنصرية

المبحث الأول

التشبيه

التشبيه:

لغة : التشبيه من شبه والشبه والشبيه المثل والجمع أشباه، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبته علوتشابه الشيطان : أشبه كل واحد منهما صاحبه ، والتشبيه: التمثيل⁽¹⁾ والتشبيه والتمثيل في اللغة مترادفان تقول شابهه وأشبه أي ماثله والتشبيه في اللغة أيضاً الدلالة⁽²⁾ وبذلك فاللغويون لا يفرقون بين التشبيه والتمثيل ، وكذلك كان بعض البلاغيين⁽³⁾

اصطلاحاً : هو إلحاق أمر بأمر في معنى مشترك بينهما بأداة ظاهرة أو ملحوظة لغرض يقصده المتكلم⁽⁴⁾، كأن يكون بيان حال المشبه أو مقداره أو تقريره أو يكون الغرض منه مدح المشبه وتحسين حاله ترغيباً فيه أو تشويه المشبه وتقبيحه تنفيراً منه وتحقيراً له.

مفهوم التشبيه عند علماء البلاغة :

للتشبيه وظيفة دلالية وجمالية لم يغفلها الشعراء والأدباء والعلماء على مر العصور تتمثل في إيضاح المعاني وإكسابها جمالاً وجعلها أكثر تأثيراً في المتلقي ، فهو فن بلاغي له آليته وأدواته وأركانه التي تحدد من مستوياته ومن هنا فقد طبع مفهوم التشبيه في أذهان العديد من الشعراء والعلماء دون أن يحدوده في تعريف خاص فمن الشعراء الذين تنبهوا إلى هذا الفن، بشار بن برد الذي يقول عنه:"ونظرت إلى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت إليها بفكر جيد ، وغريزة قوية فأحكمت سبرها وانتقيت حرها"⁽⁵⁾، ويقول أيضاً: "لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شينين بشينين في بيت واحد حيث يقول:⁽⁶⁾

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها الغاب والحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيهه شينين بشينين⁷ في بيت حتى قلت⁸:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـه

ويقول ابن سلام في حديثه عن امرئ القيس "وشبه النساء بالطباء والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وقيد الأوابد وأجاد في التشبيه وفصل بين النسيب وبين المعنى " ¹ويقول عن ذي الرمة " كان أحسن أهل طبقة تشبيهاً"².

(1) لسان العرب ابن منظور مادة (شبه) .

(2) القاموس المحيط الفيروز ابادي مادة (شبه) .

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ابن الأثير ، ج 1 ص 388 .

(4) المطول سعد الدين التفتازاني ، ص 310 .

(5) العمدة في محاسن الشعر ، ابن رشيق الفيرواني ج 2 ، ص 239.

(6) ديوان امرئ القيس تحقيق حنا الفاخوري ص 68.

⁷ العمدة في محاسن الشعر ، ابن رشيق الفيرواني ج 2 ، ص 239

(8) (ديوان بشار بن برد، ت محمد الطاهر بن عاشور، ج 1 ص 335

أما الجاحظ الذي كان يعد من العلماء المؤسسين للبلاغة العربية فقد ذكر التشبيه كثيراً في كتبه وبشكل خاص كتاب (البيان والتبيين)³، ومن شواهد تعرضه لمفهوم التشبيه، موازنته بين قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : " الناس كلهم سواء كأسنان المشط"⁴ وقول كثير عزة⁵:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شبيهة منهم على ناشئ فضلاً

إذ يقول الجاحظ في معرض موازنته " وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبي صلى الله عليه وسلم وحقيقته، عرفت فضل ما بين الكلامين"⁶ فهذه الموازنة تنبئ عن فهم الجاحظ للتشبيه وطبيعته ومقومات قوته وضعفه فضلاً عن وظيفته ، لكنه لم يحدده أو يعرفه أو يقسمه حاله حال بقية المصطلحات التي وردت في كتبه ، التي كان يستطرد في الكلام عنها والاستشهاد عليها بعدد غير قليل من الشواهد الشعرية والنثرية.

ومن العلماء الذين اهتموا بالتشبيه وحددوا دلالاته المبرد المبرد من أوائل الذين حاولوا تحديد مصطلح التشبيه ونبهوا إلى ضرورة دراسته كونه يساعد الشاعر والكاتب في التأثير في متلقيه فالأشياء تتشابه في وجوه وتتباين في وجوه أخرى ينظر إلى التشبيه من خلال التقاء الأشياء⁽⁷⁾، وقد جاء التشبيه جاء في معظم كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد ، وقد ذكر أن المرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرها⁸ كما في قول الأعشى⁹:

كأن مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

ويذكر أيضاً أن العرب تشبه المرأة بالشمس والقمر والغزال والغصن والبقرة الوحشية والدرة والبيضة وإنما تقصد من كل شيء إلى شيء⁽¹⁰⁾، وفي هذا الكلام نلاحظ أن المبرد يقف عند الجامع بين طرف التشبيه وهي الصفة المشتركة التي تكون أقوى في المشبه به.

ويرى قدامة بن جعفر في معرض حديثه عن التشبيه: " أن الشيء لا يشبه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشينان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا فصار الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما وتوصفان بها

¹ طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي ، ج 1 ، ص 55

² المصدر السابق ج 2 ، ص 549

³ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 324

⁴ البيان والتبيين الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 2، ص 19.

⁵ ديوان كثير عزة ص 384

⁶ (البيان والتبيين الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج 2، ص 19.

⁷ (الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق زكي مبارك، ج 2 ص 766.

⁸ المصدر السابق، ج 2 ص 766.

⁹ (ديوان الأعشى، شرح محمد حسين، ص 55

⁽¹⁰⁾ (الكامل في اللغة والأدب، المبرد ، ج 2 ، ص 79.

وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفقتها ، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد ⁽¹⁾، وفي هذا الكلام يتحدث قدامة عن شروط التشبيه المتمثلة بعدم مشروعية تشبيه الشيء بنفسه، وذلك لأن القصد من التشبيه توضيح صورة معينة في المشبه من خلال المشبه به الذي تظهر فيه بشكل واضح وجلي مثل تشبيه الرجل الشجاع بالأسد فالقصد هو إظهار وتوضيح صورة الشجاعة فيختار المتكلم مشبهاً به تكون فيه هذه الصفة واضحة بشكل جلي فمن هنا تكون صورة الشجاعة أوضح وأقوى، وكذلك يتضح من كلام قدامة أنه يضع مقياساً للتشبيه فكلما كانت صفات الاشتراك بين المشبه والمشبّه به أكثر كان التشبيه أجمل وأقوى شرط ألا يصل الشبه حد التطابق التام لأن ذلك لا يعد تشبيهاً.

ويُعرف التشبيه أيضاً بأنه سد شيء مسد شيء آخر في الحس أو العقل ⁽²⁾ ، وفي هذا التعريف إشارة إلى بعض أقسام التشبيه من حيث وجه الشبه إذ يشير الرماني إلى وجه الشبه أو الصفة المشتركة التي تسد مسد صفة أخرى في المشبه أنها قد تكون عقلية أو حسية ، ولا يذهب أبو هلال العسكري أبعد من تعريف الرماني ولا يضيف عليه شيئاً سوى ذكره لأداة التشبيه إذ يرى أن " التشبيه : الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ⁽³⁾، وإن كانت الأداة لا تمثل ركناً أساسياً في التشبيه إذ يستقيم التشبيه بدونها وقد يكون العسكري قصد الأداة بشكل مباشر وتقديرها عندما تحذف.

أما ابن رشيق القيرواني فإنه يفصل في تعريفه التشبيه ويحاول أن يذكر شروطه إذ يقول، " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ⁽⁴⁾، وهو في تفصيله وذكره لحدود التشبيه لا يخرج إلى أبعد ما ذهب إليه قدامة، وهو عدم التطابق الكلي بين طرفي التشبيه.

أما الجرجاني واضع نظرية علم البيان في كتابه (أسرار البلاغة) فهو يرى أن التشبيه هو : " أن تثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكماً من أحكامه ، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد، وللحجة حكم النور ⁽⁵⁾ ، ولم يكتف الجرجاني بالتعريف بل تحدث عن أقسام التشبيه من حيث وجه الشبه

(1) نقد الشعر قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة 1963 ، ص 122.

(2) ينظر :النكت في إعجاز القرآن ، الرماني ضمن كتابه ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ص74.

(3) كتاب الصناعتين أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد الجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1952 ، ص 239 .

(4) العمدة ، ج 1 ، ص 286 .

(5) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، ص68.

وتحدث أيضاً عن محاسن التشبيه و عيوبه كما أنه وقف عند أفضل ما قيل في التشبيه محلاً هذه الشواهد ومبيناً ما فيها من أسرار جمالية تستقطب عقول المتلقين وتسحرهم¹.

ويعرف السكاكي التشبيه بقوله: " التشبيه مستدع طرفين مشبهاً ومشبهاً به ، واشتراكاً بينهما من وجه وافتراقاً من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة، ويختلفا في الصفة أو العكس"⁽²⁾ فهو في هذا التعريف يذكر الركنين الأساسيين في التشبيه واللذين لا يمكن حذفهما وهما المشبه والمشبه به وأطلق على كل منهما طرفاً للتشبيه كما أشار إلى وجه الشبه الذي يجب توفره كما يجب أن يفترق الطرفان من وجه أو وجوه عدة³.

ويعرف ابن الأثير التشبيه بقوله: " التشبيه هو أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به"⁽⁴⁾، وهذا التعريف مختصر أكد فيه ابن الأثير على الصفة المشتركة التي أطلق عليها حكماً كما أنه أشار ، وهذا ما نفهمه من كلمة " تثبت " إلى وظيفة التشبيه الجمالية والدلالية التي تنقل للمتلقى صورة مؤثرة من صور المشبه ، أراد المتكلم إبرازها بصورة مميزة⁵.

ويذكر ابن أبي الإصبع تعريف الرماني في معرض كلامه عن التشبيه ويصف حد الرماني للتشبيه بأنه التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره ، ويرى بأن التشبيه البليغ هو إخراج الأغمض إلى الظاهر بالتشبيه مع حسن التأليف⁽⁶⁾، وهنا نلاحظ ذكر بعض أقسام التشبيه مثل العام والبليغ، والأهم من ذلك ذكر حسن التأليف وضرورة مراعاته من أجل إخراج التشبيه في صورة حسنة ومؤثرة ، وهذا ما أكد عليه من قبل الجرجاني الذي يرى أن التشبيه وغيره من الفنون البيانية يأتي مكملاً للنظم الذي يجب فيه مراعاة طبيعة المعنى في النفس وتأثيره في المتلقي.

ويرى القزويني: "التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى"⁽⁷⁾، وهو هنا يؤكد على قوة وجه الشبه من خلال استخدام كلمة (مشاركة)، ويرى العلوي أن التشبيه " هو الجمع بين الشئيين أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها "⁽⁸⁾ ، وهنا إشارة إلى أداة التشبيه التي تمثل ركناً من أركان التشبيه ، وأخيراً نذكر تعريف السجلماسي الذي يضيف عنصر التخيل للتشبيه ليؤكد على وظيفته الجمالية التي يكتسبها من خلال الخيال الذي تسبح فيه صورة التشبيه لتنتقل للمتلقى صورة

¹ ينظر: اسرار البلاغة ، الجرجاني محمد محمود شاكر ، ص 91.

⁽²⁾ مفتاح العلوم السكاكي ، ، ص 439.

³ ينظر: المصدر السابق ، ص 438

⁽⁴⁾ المثل السائر ، ج 1 ، ص 388 .

⁵ ينظر: المصدر السابق ، ص 489

⁽⁶⁾ ينظر تحرير التعبير، ابن أبي الإصبع، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة 1383هـ ، ص 159.

⁽⁷⁾ التلخيص في علوم البلاغة ، القزويني ، ت ، عبد الرحمن البرقوقي ، ط 2 ، القاهرة 1932 ، ص 238.

⁽⁸⁾ الطراز يحيى بن خمر العلوي ، القاهرة 1914 ، ج 1 ، ص 263 .

تؤثر فيه وتجعله يتفاعل مع التشبيه إذ يعرفه بأنه " القول المخيل وجود شيء في شيء " (1) ، فقد قصد في قوله وجود شيء في شيء ، الصفة المشتركة بين طرفي التشبيه، وقد جعل التخيل القاعدة التي يستند إليها التشبيه ، فكلما كان التشبيه فيه بعض الغرابة كان تأثيره في المتلقي أكبر وأقوى ، ويكاد يكون هذا الرأي غريباً عن آراء البلاغيين عموماً ، الذين يرون بأن التشبيه الحسن هو الذي يشترك فيه المشبه والمشبه به بأكبر عدد ممكن من الصفات وهذا ما يجعل عنصر التخيل الذي ذكره السجلماسي ضعيفاً إلى حد ما.

ويرى الدكتور أحمد مطلوب أن هذه التعريفات في مجملها تؤدي معنى واحداً " وهو أن التشبيه ربط شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر ، لكن البلاغيين اختلفوا في هذه الصفة أو الصفات ومقدار اتفاقها واختلافها " (2) ، ويستشهد برأي قدامة بن جعفر ، الذي يرى بأن أحسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها ³ ، ويستشهد أيضاً برأي ابن رشيق الذي لا يبعد عن هذا الرأي كثيراً ، ويورد رأي ابن سنان الذي يقول " إنما الأحسن في التشبيه أن يكون أحد الشيئين يشبه الآخر في أكثر صفاته ومعانيه ، وبالضد حتى يكون رديء التشبيه ما قل شبهه بالمشبه به " (4) ، ويرى مطلوب أن التشبيه قد يكون أحسن إذا كثرت جهات الاختلاف ليكون مجال التخيل والتصور أبعد مدى ، ولكن ينبغي ألا يؤدي ذلك إلى الغموض والإبهام (5) ، وهذا ما أشار إليه السجلماسي عندما أطلق على التشبيه عبارة (القول المخيل).

ومن خلال ما أوردناه من تعريفات ومفاهيم للتشبيه نستطيع أن نضع تعريفاً استوحيناه ممن سبقنا في هذا المجال وجدنا فيه الوضوح والشمول ، فالتشبيه : هو تشبيه شيء أو أكثر بشيء أو أكثر ، على أن يكون الطرفان مشتركين في صفة أو أكثر بأداة تشبيه وبدونها ، وهو يقوم على أركان أربعة : اثنان منهما أساسيان : وهما المشبه والمشبه به واثنان غير أساسيان : وهما أداة التشبيه ووجه الشبه ، الغرض منه تقرير حال المشبه أو بيان مقداره أو تحسين المشبه أو تقييده ⁶.

التشبيه حقيقة أم مجاز :

اختلف علماء البلاغة في هذه القضية فقد رأى بعضهم أن التشبيه ليس مجازاً ، وهذا ما صرح به عبد القاهر الجرجاني في معرض حديثه في الفرق بين الاستعارة والتمثيل إذ يقول : " وهكذا

(1) المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد السجلماسي ت ، علاء الغزي ، الرابط - المغرب 1980 ، ص 220.

(2) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، ناشرون بيروت ، 2007 ، ص 325

³ ينظر : نقد الشعر ، ص 120

(4) سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي 1953 ، ص 290.

(5) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص 325

⁶ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص 325

كل متعاط لتشبيهه صريح لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه، فإذا قلت زيداً كالأسد وهذا الخبر كالشمس في الشهرة وله رأي كالسيف في إمضاء لم يكن منك نقل اللفظ عن موضوعه ولو كان الأمر على خلاف ذلك لوجب إلا يكون في الدنيا تشبيهه إلا وهو مجاز ، وهذا محال لأن التشبيه معنى من المعاني وله حروف وأسماء تدل عليه فإذا صرح بذكر ما هو موضوع للدلالة عليه كان الكلام حقيقة كالحكم في سائر المعاني فاعرفه⁽¹⁾، ففي هذا الكلام تأكيد واضح على ضرورة الفصل بين التشبيه والمجاز وإقرار بأن التشبيه حقيقة لأنه لا يستند إلى نقل اللفظ.

وقد تابع الجرجاني في هذا الرأي عدد كبير من علماء البلاغة ومن أبرزهم الرازي⁽²⁾ والسكاكي⁽³⁾ والقزويني⁽⁴⁾، ويذكر الزركشي رأي الزنجاني في هذا الأمر إذ لا يعد الأخير التشبيه مجازاً للسبب نفسه الذي طرحه من قبل الجرجاني ويرى بأنه توطئة لمن سلك سبيل الاستعارة والتمثيل لأنه كالأصل لهما والذي يقع منه في حيز المجاز عند البيانين هو الذي يجيء على حد الاستعارة، كما يذكر الزركشي رأي بعض العلماء ممن وفق بين الرأيين والذين أكدوا على أن التشبيه إذا كان بحرف فهو حقيقة، وإذا كان بدونه أي بحذفه فهو مجازاً بناءً على أن الحذف من باب المجاز⁽⁵⁾.

أما الرأي الآخر الذي ينص على أن التشبيه مجاز، فأبرز من ذهب إليه ابن رشيق القيرواني الذي يقول " وأما كون التشبيه داخلاً تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح لا الحقيقة "⁽⁶⁾، وإلى ذلك ذهب ابن الأثير الذي يرى "أن المجاز قسمان ؛ توسع في الكلام وتشبيهه، والتشبيه ضربان ؛ تشبيه تام وتشبيه محذوف، وهو الاستعارة، "⁽⁷⁾، وابتعد العلوي عن هذه الإشكالية والجدل فعد التشبيه أحد علوم البلاغة ولم يبحث عن أصله فيما لو كان حقيقة أم مجازاً ، "⁽⁸⁾.

ويرى د. أحمد مطلوب أن التشبيه من المجاز لأنه يعتمد على عقد الصلة بين شيئين أو أشياء لا يمكن أن تفسر على الحقيقة ولو فسرت كذلك لأصبح كذباً وهو الفن الكثير الاستعمال في كلام

(1) أسرار البلاغة ، ص 209 .

(2) نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، القاهرة 1317هـ ، ص 77.

(3) مفتاح العلوم ص 156 .

(4) التلخيص ص 235 .

(5) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1957، ج 3، ص 434.

(6) العمدة، ج 1، ص 268.

(7) المثل السائر ، ج 1 ، 356 ، وما بعدها.

(8) ينظر: الطراز ، العلوي، ج 1 266 .

العرب، كما يرى أن إخراج بعض العلماء التشبيه من دائرة المجاز، راجع إلى عدم الانتقال فيه من معنى إلى آخر كما هو الحال في الاستعارة⁽¹⁾.

ونرى نحن أن التشبيه لا يدخل في المجاز للسبب نفسه الذي ذكره الجرجاني ، و تحدث عنه الدكتور أحمد مطلوب فالمعنى في التشبيه يبقى في دائرة الحقيقة والواقع، فضلا عن أن التشبيه يقوم على التقابل بين طرفين، وبشكل خاص في طرفه الأول ، وهذا ما لا يوجد في المجاز في جميع أقسامه، ومن ضمنها الاستعارة التي تقوم على التشبيه.

أركان التشبيه:

للتشبيه كما هو معروف أربعة أركان هي : المشبه، والمشبّه به، ويسميان طرفي التشبيه وأداة التشبيه ووجه الشبه².

أولاً : طرفا التشبيه :

وهما المشبه، والمشبّه به، ويعدان الركنين الأساسيين في التشبيه، وبدونهما لا يكون هناك تشبيهها ، وب حذف أحدهما يتحول التشبيه إلى استعارة، ويقسم التشبيه باعتبارهما على أربعة أنواع³ :

1- تشبيه الحسي بالحسي : أي يكون كل من المشبه والمشبّه به حسيين، أي يدركان باحدى بالحواس الخمس الظاهرة (البصر والسمع والشم واللمس والذوق) مثل قوله تعالى (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) (4) أي قدرنا سير القمر منازل حتى إذا كان آخر منازل دق وتقوس حتى صار كأعواد النخيل ، فطرفا التشبيه هنا هما القمر (المشبه) والعرجون (المشبه به) وهما حسيان ، ومن الشواهد القرآنية الأخرى قوله تعالى:(وَحُورٌ عِينٌ) (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) (5) فالمشبّه (حور عين) حسي والمشبّه به (لؤلؤ مكنون) حسي ، ومن شواهد هذا النوع قوله تعالى:(وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ) (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ شَيْءٍ) (6) فهنا المشبه هو حركة

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص326

² المصدر السابق، ص326

³ المصدر السابق، ص326

(4) سورة يس آية 39 .

⁵ سورة الواقعة آية (21 - 22) .

(6) سورة النمل آية (87 - 88) .

الجبـال من هول ذلك الـيوم الـذي ينفخ فيه في الصور وتبعث فيه الأموات أما المشبه به فهو حركة السحاب ، وكلا الحركتين حسيتان ، ومن شواهد هذا النوع من التشبيه¹.
قول ابي طالب الرقي²:

وكان أجرام السماء لوامعاً درر نثرن على بساط أزرق
وقول ابن المعتز في وصف الهلال³:

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر
وقول الشاعر المعاصر حسن الشرفي⁴:

والصبايا من كل غداء بكرٍ تتهاذى كأنهن الشموع
وقول الخنساء في وصف أخيها صخر⁵:

مثل السنان تضيء الليل صورتها جلد المريرة حرّ وابن أحرار
وقول ذي الرمة⁶:

كان أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس إنقاض الفراريج

ففي البيت الأول المشبه (أجرام السماء) والمشبه به (درر نثرن على بساط أزرق) حسيان، وفي البيت الثاني المشبه (الهلال) والمشبه به (زورق من فضة) حسيان ، وفي البيت الثالث المشبه (الصبايا) والمشبه به (الشموع) حسيان، وفي البيت الرابع المشبه (صخر) والمشبه به (السنان) حسيان، أما في البيت الأخير فالمشبه هو أصوات أواخر الميس أي أطيط الرحل، أما المشبه به فهو أصوات الفراريج وهما حسيان.

2- التشبيه الذي يكون طرفاه (المشبه والمشبه به) عقليين لا يدركان بالحس بل بالعقل⁷ كقولنا العلم حياة والجهل موت ، ومن شواهد هذا التشبيه قول المتنبي يمدح علي بن إبراهيم التنوخي⁸:

كان سخاءك الإسلام تخشى إذا ما حلت عاقبة ارتداد

وقول الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين (عليه السلام)⁹:

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم.

¹ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ص 326

² نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، ت مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج1، ص26

³ ديوان ابن المعتز ، دار صادر، بيروت ، 247

⁴ المجموعة الكاملة ، حسن الشرفي، ج2 ص 320

⁵ ديوان الخنساء، بشرح ثعلب . ت د. أنور أبو سويلم : دار عمار الطبعة الأولى 1989م، ص293

⁶ ديوان ذي الرمة ، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1995، ص42 .

⁷ ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 327

⁸ ديوان المتنبي، ت د. عمر فاروق، ج1، ص330

⁹ ديوان الفرزدق . ت علي فاغور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1987، ص513

ففي البيت الأول المشبه هو السخاء أي الكرم وهو معنوي عقلي أما المشبه به فهو الإسلام وهو معنوي عقلي فيكون طرفا التشبيه عقليين ، أما في البيت الثاني فيشبهه الفرزدق حب آل البيت وهو معنوي عقلي بالدين وهو معنوي أو عقلي أيضاً ، وفي البيت تشبيهان آخران طرفا كل منهما عقليان، الأول شبه فيه بغض آل البيت وهو عقلي بالكفر وهو عقلي أيضاً ، أما التشبيه الثاني فقد شبه فيه التقرب من آل البيت بالنجاة وكلاهما عقليان .

3 - تشبيه المحسوس بالمعقول : أي أن يكون المشبه حسياً والمشبه به عقلياً ، وقد رفضه بعض البلاغيين⁽¹⁾ وحجتهم في هذا الرفض أن الحس طريق إلى العقل والمحسوس أصل المعقول، "ولو شبهنا المحسوس بالمعقول لشبهنا الأصل بالفرع وهذا يستلزم جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً وهو غير جائز ، ولذلك لو حاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور والمسك بالطيب فقال الشمس كالحجة في الظهور و المسك كخلق فلان في الطيب كان سخيلاً من القول"⁽²⁾ .

وقد أجاز هذا النوع من التشبيه بعض البلاغيين³ ولم يستطع بعض الذين رفضوه أن يتجاوزوه وذلك لكثرة في كلام العرب فعلوا حسن هذه التشبيهات بأن يقدر المعقول محسوساً ويجعل كالأصل في ذلك المحسوس على طريق المبالغة ، ومن أمثلة هذا التشبيه قول القاضي التنوخي⁽⁴⁾ :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع
مشرفات كأنهن حجاج تقطع الخصم والظلام انقطاع

وقول أبي طالب الرقي⁵ :

ولقد ذكرتكَ والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق.

وقول الآخر⁶ :

رب ليل كأنه أُملي في ك وقد رحْتُ عنكَ بالحرمان

ففي البيت الأول شبه صورة حسية وهي النجوم وسط الظلمة بصورة عقلية وهي البدعة وسط السنن ، وفي البيت الثاني شبه الشاعر الظلام وهو حسي بيوم الندى أو فؤاد من لم يعشق ، وكلاهما عقليان، أما البيت الثالث فقد شبه فيه الشاعر الليل وهو حسي بالأمل وهو عقلي ، ووفق رأي من رفض هذا التشبيه يكون هذا التشبيه أشبه بالمعكوس .

(1) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز الرازي ، ص 59 .

(2) نهاية الإيجاز ص 59 ، وينظر : البرهان في علوم القرآن ج 3 ، ص 420 .

³ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 327 .

(4) يتيمة الدهر ، الشعالي ج2 ص 336 ، وأسرار البلاغة : الجرجاني ص 225 .

⁵ يتيمة الدهر ، الشعالي ج1 ص 282 ، وأسرار البلاغة : الجرجاني ص 227 .

⁶ أسرار البلاغة : الجرجاني ص 231 .

4- تشبيه العقلي بالحسي : أي يكون المشبه عقلياً والمشبه به حسيّاً مثل قوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَالُ الْبَعِيدُ) (1) وقوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (2)، ففي الآية الأولى شبه الله عز وجل أعمال الكافرين في الدنيا بالرماد الهش الذي لا يصمد أمام الرياح العاتية فيتلاشى ووجه الشبه عدم وجود أثر الشيء ، وهو تشبيه أمر معقول بأمر محسوس ، وفي الآية الثانية شبه الكفار في اتخاذهم الأصنام يعبدونها بالعنكبوت في اتخاذها بيتاً واهياً ، فشبه أعمال الكفار الفاسقة ببيت العنكبوت الواهي ، وهو تشبيه أمر معقول بأمر محسوس.

ومن شواهد هذا التشبيه القرآنية أيضاً قوله تعالى : (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِنَسٍ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (3) إذ يشبه الله عز وجل الذين أنزلت عليه التوراة ولم يؤمنوا بما فيها وهذا الأمر عقلي بالحمار الذي يحمل الأسفار وهو لا يعلم ما فيها وهذا الأمر حسي ، ومن شواهد هذا النوع من التشبيه قول الجواهري :

النفس كالفرس الجمو ح وعقلها مثل اللجام

وقول الشاعر (4) :

والدهر يقرعني طوراً وأقرعه كأنه جبل يهوي إلى جبل

ففي البيت الأول شبه الشاعر النفس وهي معقولة بالفرس وهي محسوسة وكذلك شبه العقل وهو معقول باللجام وهو محسوس ، أما في البيت الثاني فقد شبه الشاعر الدهر وهو أمر معقول بالجبل وهو محسوس ، ومن الشواهد الشعرية أيضاً قول محمود سامي البارودي⁵ :

إن الحياة لثوب سوف نخلعه وكل ثوب إذا ما رث ينخلع

إذ شبه الشاعر في هذا البيت الحياة وهي أمر معنوي وعقلي بالثوب وهو حسي ، وفي هذا النوع من التشبيه يحاول المتكلم أن يجسد ويقرب صورة المشبه للمتلقي وذلك لأن المحسوس أكثر وضوحاً من المعقول وأكثر انطباعاً في العقل .

ثانياً : أدوات التشبيه :

(1) سورة إبراهيم آية 18 .

(2) سورة العنكبوت آية 41 .

(3) سورة الجمعة آية 5 .

(4) كتاب الصناعتين، العسكري ، ص 72 .

⁵ ديوان البارودي، ت علي الجارم ، محمد شفيق معروف، دار العودة بيروت، 1988، ج1، 339.

وهي ألفاظ تدل على المشابهة وهي أما حروف كالكاف وكأن أو أفعال مثل يشبه ويمثل ،
ويحاكي ويشاكل ويضاهي ويضارع أو أسماء مثل شبه ومضارع ومشاكل ومضاه ومثل وغيرها¹،
ومن شواهد التشبيه التي تتضمن هذه الأدوات:

- قوله تعالى : (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) (2).

- قول الشاعر (3):

كأن الثريا راحة تشبر الدجى لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

- قوله تعالى : (وَحُورٌ عِينٌ) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (4)

ففي الآية الأولى الأداة هي الكاف وفي البيت الشعري الأداة هي كأن وفي الآية الثانية الأداة هي
أمثال والكاف معاً.

ثالثاً : وجه الشبه :

وهو المعنى الذي يشترك فيه المشبه والمشبه به تحقيقاً أو تخيلاً⁽⁵⁾ فالتحقيقي كتشبيه الشعر
بالليل في السواد ، والتخييلي كتشبيه السيرة بالمسك والأخلاق بالعنبر ، وقد يكون المعنى صفة واحدة
يشترك فيها طرفا التشبيه، وقد يكون أكثر من صفة ، وغالباً ما تكون هذه الصفة أو مجموعة الصفات
في المشبه به أقوى منها في المشبه، وقد يكون العكس على سبيل التشبيه المعكوس أو المقلوب الذي
يقصد منه المتكلم المبالغة في التشبيه.

أقسام التشبيه :

يقسم التشبيه إلى عدة أقسام منها ما يعود إلى طرفي التشبيه من حيث إفرادهما أو تركيبهما
أو إفراد طرف وتركيب طرف ، ومنها ما يعود إلى تعددهما ، ومنها ما يعود إلى الأداة من حيث
ذكرها أو حذفها ومنها ما يعود إلى وجه الشبه من حيث ذكره أو حذفه أو صورته، فيما إذا كانت
مفردة أم منتزعة من عدة أشياء، ومنها ما يعود إلى عدم ارتباط المشبه بالمشبه به بصورة مباشرة
وغير ذلك⁶.

أولاً : أقسام التشبيه بالنسبة للأداة :

التشبيه المرسل :

¹ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص227.

(2) سورة الرحمن (24) .

(3) المستطرف في كل فن مستظرف ، ج2، ص402 .

(4) سورة الواقعة (21-22) .

(5) ينظر جواهر البلاغة ص 285 - 286 .

⁶ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص

وهو التشبيه الذي تذكر فيه الأداة مثل قوله تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُحْمٍ عُمِيٍّ فَهُمْ لَا يَهْتَفُونَ) (1) وقول امرئ القيس (2):

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

وقول الكميت يمدح بني هاشم (3):

أَبْطَحِيْنَ أَرْحِيَيْنَ كَالْأَنْجَمِ جَمَازَاتِ الرَّجُومِ وَالْأَعْلَامِ

فالأداة في الآية مذكورة وهي الكاف أو مثل ، وفي بيت امرئ القيس هي الكاف في كلمة (كموج) وفي بيت الكميت الكاف في " كالأنجم " ، وبذلك يسمى التشبيه في هذه الشواهد من حيث الأداة بالمرسل ، وقد سمي بالمرسل لأنه مرسل من حيث الأداة أي مذكورة ووجود الأداة يجعل التشبيه واضحاً وقريباً من المتلقي لأنها ترشده إلى التشبيه.

التشبيه المؤكد :

وهو التشبيه الذي لا تذكر فيه الأداة ، ويسمى أيضاً بتشبيه الكناية (4) مثل قول الكميت يمدح بني هاشم (5) :

فهم الأسد في الوغى لا اللواتي بين خيس العرين والآجام

وقول ابن خفاجة الأندلسي (6) :

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

ففي بيت الكميت تشبيه مؤكد محذوف الأداة والتقدير هم كالأسد وكذلك الأمر في بيت ابن خفاجة فهناك تشبيه مؤكد محذوف الأداة فالتقدير أصيل كالذهب وماء كاللجين.

ثانياً : تقسيم التشبيه بالنسبة لتعدد طرفيه :

1- التشبيه الملفوف :

وهو التشبيه الذي يتعدد فيه طرفاه ويكون فيه المشبهات في جهة ويقابلها المشبهات بها في جهة أخرى (7)، أي جعل المشبه مع المشبه والمشبّه به مع المشبّه به مثل قول الشاعر (8) :

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

(1) سورة البقرة آية 117 .

(2) شرح ديوان امرئ القيس ص 42 .

(3) شرح هاشميات الكميت ، تحقيق داود سلوم ، نوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ط1 1985 ص 18 .

(4) معجم المصطلحات ، ص 340 .

(5) شرح هاشميات الكميت ص 21 .

(6) ديوان ابن خفاجة ، مطبعة المعارف ، مصر، ص 17

(7) معجم المصطلحات البلاغية ص 349

(8) الطراز ، العلوي ، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1982، ج1، ص 150

خمر ودرٌ وورد ريقٌ وثغرٌ وخدٌ

وقول البحتري⁽¹⁾ :

تَبَسَّمَ، وَقُطُوبٌ، فِي نَدَى وَوَعَى كَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَسَطَ الْعَارِضِ الْبَرْدِ

وقول الشاعر⁽²⁾ :

وضوء الشهب فوق الليل باد كأطراف الأسنة في الدروع

ففي البيت الأول جمع الشاعر المشبهات وهي الليل والبدر والغصن وقابلهما بالمشبهات بها على التوالي الشعر والوجه والقد ، وفي البيت الثاني فعل الأمر نفسه إذ ذكر أولاً المشبهات وهي خمر ودر وورد وقابلها بالمشبهات بها الريق والثغر والخد ، وفي البيت الثاني جمع الشاعر المشبهين التبسم والقطوب وقابلهما بالمشبهين بهما وهما الغيث والبرق ، وفي البيت الثالث جمع الشاعر ضوء الشهب والليل وهما المشبهان وقابلهما بالمشبهين بهما وهما أطراف الأسنة والدروع، وهذا النوع من التشبيه يتطلب من الشاعر التوازن بين الطرفين من أجل تحقيق الهدف منه وهو التأثير في المتلقي وكسب تفاعله.

التشبيه المفروق :

وهو التشبيه الذي يتعدد فيه طرفاه بحيث يجمع المتكلم كل مشبه مع ما شبه به³ مثل قول أبي علي ابن سينا⁽⁴⁾ :

إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

فإذا أشرقت فأنت حي وإذا أظلمت فأنت ميت

وقول المرقش الأكبر⁽⁵⁾ :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عَنَم

ففي البيتين الأوليين يجمع الشاعر بين المشبه(لنفس) والمشبه به (الزجاجة) وجمع المشبه الآخر (العلم) والمشبه به (سراج) والمشبه الآخر (حكمة الله) والمشبه به (زيت)، وفي البيت الثالث جمع المشبه الأول (النشر) مع المشبه به (مسك) والمشبه الثاني (الوجوه) مع المشبه به (دنانير) والمشبه الثالث (أطراف الأكف) مع المشبه به (عنم)، وقد سمي بالمفروق

(1) ديوان البحتري ج 1، ص 575 .

(2) جواهر البلاغة ، ص 287 .

³ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص

(4) خزائن الادب، ابن حجة الحموي، ت عصام شعيثو، مكتبة الهلال ، بيروت ط1، ، 1987.

(5) المفضليات، ت أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، مصر ، ط6 ، 1963 ، ص 238 .

لأن المتكلم فرق بين المشبهات من جهة والمشبهات بها من جهة أخرى أي جعل كل مشبه مع المشبه به، ومن الشواهد الأخرى لهذا التشبيه قول دعبل الخزاعي يهجو رجلاً⁽¹⁾:

كأنه كبش إذا ما بدا لكنه في طبعه نعجة

فقد جمع الشاعر المشبه الأول وهو الضمير العائد على الرجل المهجو في طلعتة مع المشبه به (كبش) والمشبه الثاني وهو الضمير العائد على الرجل في طبعه مع المشبه به وهو (النعجة) .
وقول دعبل في هجاء امرأة⁽²⁾ :

يا ركبتى خُزَز وساق نعامة وزبيل كناس ورأس بعير

إذ يجمع الشاعر المشبهات وهي (ركبتا المرأة ، وساقها ورأسها) كل واحدة منها مع المشبه به ، وهي على التوالي (ركبتا الخزر وساق النعامة ورأس البعير) .
تشبيه التسوية : وهو التشبيه الذي يتعدد فيه طرف واحد من التشبيه وهو المشبه أما المشبه به فيلقى مفرداً مثل قول الشاعر الوطواط⁽³⁾:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

وقول دعبل يمدح بحسن الدفاع عن الثغور⁽⁴⁾:

هو الجاعل البيض القواطع والقنا كعاماً لأفواه الثغور الفواغر

ففي بيتي الوطواط تعدد المشبه في البيت الأول (صدغ الحبيب) و(حال الشاعر) وبقي المشبه به مفرداً وهو (الليالي) وفي البيت الثاني أيضاً تعدد المشبه (ثغر الحبيب في صفاء) و(دمع الشاعر) وبقي المشبه به مفرداً وهو (الليالي) أما في بيت دعبل الخزاعي فقد تعدد المشبه أيضاً (البيض القواطع) أي السيوف و(القنا) الرماح وبقي المشبه به مفرداً وهو (الكعام) وهو ما يجعل على فم البعير أو الكلب، وفي البيت استعارة إذ استعار الأفواه للثغور على سبيل الاستعارة المكنية وقد سمي بتشبيه التسوية للتسوية فيه بين المشبهات.

تشبيه الجمع :

وهو عكس تشبيه التسوية وذلك أن يتعدد المشبه به ويبقى المشبه مفرداً¹ مثل قول

البحثري⁽²⁾:

(1) شعر دعبل الخزاعي صنفه عبد الكريم الأشرف ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط2 1983 ص107.

(2) شعر دعبل ص 149.

(3) حدائق السحر، الوطواط، ت د. إبراهيم الشواربي، القاهرة 1945 ص144.

(4) شعر دعبل الخزاعي ص161.

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

وقول دعبل الخزاعي⁽³⁾:

وما للحر منجاة كمثل السيف والصبر

ففي بيت البحري يتعدد المشبه به وهو (لؤلؤ منضد) و (برد) و (أقاح) ويبقى المشبه مفرداً واحداً وهو أسنان الحبيبة، إذ يريد الشاعر أن يقول أن المحبوب عندما يبسم فإن أسنانه كاللؤلؤ المنظوم أو كالبرد أو كالأقاح وهو زهر أبيض طيب الرائحة، أما الشاعر دعبل الخزاعي فإنه يشبه المنجاة التي يحتاجها الحر بالسيف والصبر، فالمشبه مفرد وهو المنجاة والمشبه به متعدد وهو (السيف) و (الصبر)، والمشبه في هذا البيت حسي أما المشبه به المتعدد فهو تارة حسي (السيف) وأخرى عقلي (الصبر).

تقسيم التشبيه بالنسبة لأفراد وتركيب طرفيه :

تشبيه مفرد بمفرد :

وهو التشبيه الذي يكون فيه كل من المشبه والمشبه به مفردين وهو على أربعة أنواع⁴:
أ - أن يكون فيه الطرفان المفردان مطلقين مثل قولنا وجهه كالقمر أو العلم نور أو ريقه كالشهد وقوله تعالى: (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)⁽⁵⁾ فكل من المشبه (السماء) والمشبه به (الدهان) مفردان مطلقان، وقول امرئ القيس⁽⁶⁾:

وكشح لطيف كالجديل مُخَصَّر وساق كأنبوب السقي المنزل

إذ شبه الكشح بالجديل والساق بالأنبوب ، ولم يلحق بالمشبه والمشبه به أي قيد فجاء بهما مطلقين وبذلك يكون التشبيه هنا مفرداً مطلقاً بطرفيه .
ب - أن يكون فيه الطرفان المفردان مقيدان ويكون التقيد بالوصف أو الإضافة أو الحال أو الظرف أو غير ذلك مثل قول الشاعر⁽⁷⁾ :

والشمس من بين الأرائك قد حكمت سيفاً صقيلاً في يد رعشاء

¹ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص

(2) ديوان البحري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 1987 ، ج1 ص 59.

(3) شعر دعبل الخزاعي ص 154.

⁴ ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص

(5) سورة الرحمن آية 55 .

(6) شرح ديوان امرئ القيس ، حسن السندوي، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1982، 7، ص151 ..

(7) جواهر البلاغة 281 .

فالمشبه وهو الشمس مقيد بشبه الجملة (من بين الأرائك) والمشبه به (السيف) مقيد بالصفة (صقيلا) وشبه الجملة (في يد رعشاء)، أي أن الشاعر لم يقصد تشبيه الشمس بشكل مطلق بالسيف وإنما أراد تشبيه الشمس التي تكون بين الأرائك بالسيف الصقيل الذي تمسكه يد ترتعش وذلك لأنه أراد تصوير حركة الضوء الذي يتبدى من بين الأرائك فاختر السيف الذي يكون بيد مرتعشة لأن هذا الارتعاش يجعل الضوء المنعكس متحركاً وبذلك يكون التشبيه مقيداً بطرفيه لأن القصد منه لا يتحقق إلا بهذا التقييد .

ج - أن يكون المشبه مطلقاً والمشبه به مقيداً كما في قول ذي الرمة⁽¹⁾:

قف العنس في أطلال مية فاسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

فالمشبه هو الرسوم وهو مطلق مفرد أما المشبه به فهو أخلاق الرداء المسلسل وهو مفرد مقيد والوصف (المسلسل)، فالشاعر لم يقصد تشبيه الرسوم بالرداء المتهرئ بل قصد تشبيهها بالرداء المتهرئ المسلسل وبغير هذا التقييد بالصفة للمشبه به لا يتحقق الغرض من التشبيه.

د - أن يكون فيه المشبه به مفرداً مطلقاً والمشبه مفرداً مقيداً مثل قول الشاعر²:

كأن فجاج الأرض وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

فالمشبه وهو فجاج الأرض مفرد مقيد بشبه الجملة (على الخائف) والمشبه به مفرد مطلق وهو كفة حابل أي شبكة الصياد، فالقصد من التشبيه لا يتحقق إلا مع تقييد المشبه بشبه جملة. تشبيه المركب بالمركب:

وهو أن يكون كل من طرفي التشبيه كيفية حاصلة من مجموعة أشياء قد تضامنت وتلاقحت حتى صارت شيئاً واحداً مثل قول بشار⁽³⁾:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول المتنبي⁽⁴⁾ :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

وقول الشاعر أبي فراس⁽⁵⁾:

**والماء يفصل بين روض الد
كبساط وشي جردت
زهر في الشطين فصلا
أيد القيون عليه نصلا**

(1) شرح ديوان ذي الرمة ، ج 2 ص 145 .

² ينظر لسان العرب، ابن منظور ، مادة كفة

(3) ديوان بشار بن برد . ج 1 ، ص 335

(4) ديوان المتنبي . ج 1 ، ص 88

(5) ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح عباس ابراهيم، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1994 ، ص 157.

وقول ابن المعتز¹:

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

ففي الشواهد السابقة نجد المشبه والمشبه به كل منها صورة مركبة من عدة أشياء لا يمكنه فصلها ففي بيت بشار المشبه هو صورة تتمثل في كثافة السيوف ولمعانها أما صورة المشبه به فتتمثل في ظلمة الليل وتساقط الكواكب المضيئة ، ولذلك فهو تشبيه مركب بمركب وهو أيضاً تشبيه تمثيلي لأن وجه الشبه صورة منتزعة من عدة أشياء ، أما بيت المتنبي فأن تركيب المشبه والمشبه به يأتي من خلال صورة المشبه الحاصلة من نفخ العقاب لجناحيها وبذلك يكون كل من المشبه والمشبه به مركبين وفي بيتي أبي فراس يتكون المشبه من تركيب الماء وروض الزهر ، أما المشبه به فيتتركب من بساط وشي والسيوف ، والتركيب في الطرفين يكون على شكل تلاقح وتشابك وتداخل بحيث لا يمكن الفصل بين أجزائه ، أم البيت الأخير فلم يقصد الشاعر أن يشبه الصبح على انفراد والليل على انفراد بل أراد أن يشبه الهيئة الحاصلة من مجموع الشكليين من غير أن يكون هناك انفصال بينهما أي أنه قصد الشبه الحاصل للسامع إذا نظر إلى الصبح والليل جميعاً وتأمل حالهما معاً ثم جاء بهيئة مشابهة وهي الفرس الأشهب الذي قد ألقى عنه الجلال وهو ما يوضع على ظهر الفرس.

تشبيه المفرد بالمركب : وهو أن يكون المشبه مفرداً والمشبه به غير مفرد مركب مثل قوله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ)⁽²⁾، وكذلك قوله تعالى: (مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ)⁽³⁾ وكذلك قول الخنساء⁽⁴⁾:

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

وكقول أبي تمام⁽⁵⁾ :

خذها مثقفة القوافي ربها لسوايغ النعماء غير كنود
كالدر والمرجان ألف نظمه بالشذر في عنق الفتاة الرود

¹ ديوان ابن المعتز ص 381

⁽²⁾ سورة النور آية 36 .

⁽³⁾ سورة إبراهيم آية 12 .

⁽⁴⁾ ديوان الخنساء ص 45 .

⁽⁵⁾ ديوان أبي تمام ، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر ط 5 ، ج 1 ص 398

كشقيقة البرد المنمنم وشبهه في أرض مهرة أو بلاد تزيد

فالمشبه في الآية الأولى نور الله وهو مفرد أما المشبه به فهو مركب فهو مشكاة فيها مصباح والمصباح في زجاجة، وهذه صورة لا يمكن فصل أجزائها لأن القصد من التشبيه هو الهيئة الحاصلة من اجتماع هذه الأجزاء، وفي الآية الثانية المشبه هو (أعمال الذين كفروا ببربهم) وهو مفرد أما المشبه به فهو مركب إذ يتكون من رماد اشتدت به الريح وفي يوم عاصف وهذه الأجزاء لا يمكن فصلها لأنها لو فصلت لما تحقق القصد من التشبيه إذ يتكون وجه الشبه من الهيئة الحاصلة من اجتماع هذه الأجزاء، أما في بيت الخنساء فالمشبه هو صخر والذي يعود عليه الضمير (الهاء) وهو مفرد أما المشبه به فهو العلم أي الجبل الذي في رأسه نار، ومن هنا فهو مركب متكون من أجزاء لا يمكن فصلها وفي أبيات أبي تمام هناك تشبيهان من هذا النوع الأول في البيت الثاني والثاني في البيت الثالث وكلاهما يكون فيهما المشبه مفرداً وهو أما المشبه به فهو في التشبيه الأول أي في البيت الثاني مركب يتكون من صورة ناتجة من اجتماع عدة أشياء لا يمكن فصلها وهي الدر والمرجان الذي نظم بالشذر في عنق الفتاة الرود أي الناعمة أما التشبيه الثاني الذي في البيت الثالث فالمشبه به أيضاً صورة مركبة تتكون من شقة البرد ذات الوشي المنمنم. ومن هنا فالتشبيه كان مفرداً بمركب. **تشبيه المركب بالمفرد:** وهو التشبيه الذي يكون فيه المشبه مركباً أي صورة متكونة من عدة أشياء والمشبه به مفرداً مقل قول أبي تمام⁽¹⁾:

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهراً مشمساً قد زانه زهر الربى فكأنما هو مقمر

وقول المتنبي⁽²⁾:

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم

ففي بيتي أبي تمام شبه الشاعر النهار المشمس الذي زانه زهر الربى بالمقمر، وإذا نظرنا إلى المشبه وجدناه مركباً من عدة أشياء فهو نهار مشمس قد تزين بزهر الربى أما المشبه به فهو مفرد، وبذلك يكون تشبيه مركب بمفرد ويلاحظ أن التركيب في المشبه لا يمكن فصله لأن الشاعر قصد تشبيه مجموع هذه الأشياء، وهذا الأمر يتكرر في بيت المتنبي فالشاعر شبه إشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم "الأخلاق الطيبة"، فأشراق الوجوه وبياضها وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها وبذلك يكون تشبيه مركب بمفرد، وهذا النوع من التشبيه أيضاً يتطلب قدرة عالية من المتكلم

(1) ديوان أبي تمام، ج2، ص7.

(2) ديوان المتنبي، ج2، ص420.

يستطيع من خلالها الجمع بين مجموعة أشياء وتركيبها بحيث تبدو صورة متكاملة ومن ثم يختار لها مشبهاً به مفرداً يعكس اجتماع تلك الأشياء.

تقسيم التشبيه بحسب طبيعة وجه الشبه :

يقسم التشبيه حسب طبيعة وجه الشبه من حيث تحققه حساً أو عقلاً أو عدم تحققه وتقديره إلى قسمين الأول يسمى تشبيه تحقيقي والثاني تخيلي:

التشبيه التحقيقي :

وهو ما كان وجه الشبه فيه قائماً بالطرفين حقيقة كتشبيه وجه الفتاة بالشمس وشعرها بالليل ، فوجه الشبه بين الطرفين هو الإشراق و السواء على التوالي وهما موجودان في الطرفين حقيقة ، ومن شواهد هذا التشبيه قول السري الرفاء¹:

كأن الدموع على خدها بقية ظل على جنانار

وقول الشاعر أبي بكر الخالدي⁽²⁾:

يا شبيه البدر حسناً	وضياءً ومنالاً
وشبيه الغصن ليناً	وقواماً واعتدالاً
أنت مثل الورد لوناً	ونسيماً وملالاً

وقول أبي تمام⁽³⁾ :

ثنتان كالقمرين حُفَّ سناهما بكواعب مثل الدمى أتراب

ففي الشاهد الأول شبه الشاعر دموع من يتغزل بها ، وهي تنزل على خدها بحبات الطل على ورود الجنانار المعروفة بحمرتها، ووجه الشبه هنا الشكل والحرمة وكلاهما متحققان في المشبه والمشبه به ، أما في الشاهد الثاني فقد شبه الشاعر المحبوبة بالبدر ووجه الشبه هو الحسن والضياء والمنال، وكل هذه الأوجه متحققة في الطرفين ، وشبهها أيضاً بالغصن، ووجه الشبه هو اللين والقوام والاعتدال، وجميع هذه الوجوه متحققة في الطرفين حقيقة ، ويشبهها أيضاً بالورد ووجه الشبه هو اللون والنسيم والملال ، وجميع هذه الوجوه متحققة في الطرفين، أما في بيت أبي تمام فإن الشاعر يشبه المرأتين اللتين تحدث عنهما بالقمرين، ووجه الشبه هو السنا، وهو متحقق في الطرفين وشبههما بالدمى، ووجه الشبه الجمال والرقّة، وهو متحقق في الطرفين أيضاً.

التشبيه التخيلي :

(1) يتيمة الدهر ، ج2 ، ص127

(2) معجم المصطلحات البلاغية ، ص328

(3) شرح ديوان أبي تمام ، ج2 ص 76.

وهو التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه قائماً بأحد الطرفين تحقيقاً وبالأخر تخيلاً مثل قول القاضي التنوخي⁽¹⁾ :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداء

وقول أبي طالب الرقي⁽²⁾:

ولقد ذكرتكَ والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وقول ابن طباطبا العلوي⁽³⁾:

رب ليل كأنه أملّي فيك وقد رحت منك بالحرمان

وفي الغالب يكون هذا التشبيه من نوع تشبيه المحسوس بالمعقول، الذي قال عنه الرازي: "أنه غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنهية إليها، ولذلك قيل من فقد حساً فقد علماً ، وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز⁽⁴⁾ .

تقسيم التشبيه بحسب ذكر وحذف وجه الشبه:

التشبيه المفصل:

هو التشبيه الذي يذكر فيه وجه الشبه مثل قول الشاعر أبي العلاء المعري⁽⁵⁾:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا وزت كيوان⁶ في علو المكان

وقول الشاعر⁽⁷⁾ :

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغرباً

التشبيه المجمل :

وهو التشبيه الذي لا يُذكر فيه وجه التشبيه ، ومنه ظاهر يُفهم من السياق مثل (زيد كالأسد) أي في الشجاعة، ومنه ما يخفى ولا يدركه إلا من له ذهن ينم عن ثقافة معقولة كقول من وصف بني المهلب للحجاج عندما سأله عنهم " كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها"⁽⁸⁾ أي لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلاً وبعضهم أفصل منه ، كما أن الحلقة

(1) يتيمة الدهر، الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1979، ص 336.

(2) يتيمة الدهر ج 2 ص 182.

(3) ديوان ابن طباطبا العلوي، ص 57 .

(4) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، 341

(5) شرح ديوان سقط الزند، أبو المعري، دار صادر، بيروت، 1957، ص 97.

(6) كيوان هو الكوكب زحل، وهو من أعلى الكواكب

(7) شرح ديوان سقط الزند ص 279

(8) شرح ديوان سقط الزند ص 275.

المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفاً، وبعضها وسطاً، ومن هذا التشبيه ما لا يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به، كالمثال السابق ومنه ما يذكر فيه وصف المشبه به، وحده كما في قول زياد بن الاعجم¹:

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما تلقى في البحر تعرق

وقول النابغة⁽²⁾:

فأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومنه ما ذكر وصف كل واحد منهما مثل قول أبي تمام⁽³⁾:

صَدَفْتُ عَنْهُ وَلَمْ تَصْدَفْ مَوَدَّتَهُ عَنِّي وَعَاوَدَهُ ظَنِّي فَلَمْ يَخْب

كَالْغَيْثِ أَنْ جَنَّتْهُ وَأَفَاكَ رَيْقَهُ وَإِنْ تَحَمَلَتْ عَنْهُ كَانَ فِي الطَّلَب

ففي الشاهد الأول يذكر الشاعر وصف المشبه به وحده هو البحر وهذا الوصف هو قوله (مهما تلقى في البحر يغرق)، وهذا الوصف دال على وجه الشبه وهو عدم التأثر، وفي البيت الثاني أيضاً يذكر الشاعر وصف المشبه به وهو الشمس والوصف هو (إذا طلعت لم يبد منهن كوكب) وهذا دال على وجه الشبه الذي يتمثل بالسيطرة، أما في قول أبي تمام الذي يصف فيه الممدوح بأن عطياه فائضة عليه أعرض أم لم يعرض وكذلك وصف الغيث بأنه يصيبك جنته أم صدفت عنه أي أعرضت الوصفان دالان على وجه الشبه أي الإفاضة في حالتي الطلب وعدمه وحالتي الإقبال عليه والإعراض عنه.

أقسام أخرى من التشبيه :

1- التشبيه الخيالي : وهو التشبيه المعدوم الذي يجمع بين أمور عدة ، كل واحد منها يدرك بالحس ، لكن اجتماعها غير متحقق فهي غير موجودة في الواقع أو هو " تشبيه الموجود بالمتخيل الذي لا وجود له في الأعيان⁽⁴⁾ " مثل قول اصنوبري⁵:

وكن محمر الشقيـق إذا تصوّب أو تصدّ

أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

¹ شعر زياد بن الاعجم، جمع وتحقيق يوسف حسين بكار، دار المسيرة بيروت، ط1، 1983، ص88

⁽²⁾ ديوان النابغة الذبياني، ت، حنا نصر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991، ص25.

⁽³⁾ شرح ديوان أبي تمام، ج1، ص69

⁽⁴⁾ حسن التوصل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبي تحقيق د/أكرم عثمان يوسف ، بغداد 1980 ص111.

⁵ ديوان الصنوبري، ت احسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص416

وقوله أيضاً⁽¹⁾ :

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ندي
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

وقول ابن وكيع التَّيْسِيّ⁽²⁾ :

وصفراء من ماء الكروم كأنها فراق عدوّ أو لقاء صديق
كأن الحباب المستدير برأسها كواكب دُرّ في سماء عقيق

وقول البحتري³ :

حمرُ السيف كائما ضربت لهم أيدي القيون صفائحاً من عسجد

ففي الشاهد الأول نجد أن الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة كل على حدة لكن المشبه به الذي مادته هذه الأشياء ليس موجوداً ولا محسوساً وكذلك الأمر في الشاهد الثاني فالدبابيس والعسجد والقضب والزبرجد كلها موجودة بشكل مفرد ولكن المشبه به المكون من هذه الأشياء ليس موجوداً ولا محسوساً ويتكرر هذا الأمر في الشاهد الثالث فالكواكب والدر والسماء والعقيق كل على حده موجودة لكن اجتماعها في شيء واحد يمثل المشبه به غير موجود ولا محسوس وكذلك الأمر في الشاهد الأخير فالصفائح والعسجد كل منهما موجود على حدة لكن اجتماعهما في شيء واحد من قبيل الاستحالة ، وبذلك تكون هذه التشبيهات خيالية.

وقد سمي بالخيالي لأن المخيلة قد ركبت من أمور موجودة عندما تكون مفردة فكل واحد منها تدركه الحواس، ولذلك فقد أدخله علماء البلاغة في تشبيه الحسي بالحسي رغم أن الصورة كلها غير موجودة في الواقع.

2- التشبيه الوهمي :

وهو التشبيه الذي لا وجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها في الواقع ولو وجد لكان مدركاً بإحدى الحواس الخمس، ويجعله بعض البلاغيين قريباً من التشبيه الخيالي ، ومن شواهد هذا التشبيه

(1) ديوان الصنوبري، ج2، ص421 .

(2) نهاية الأرب في فنون الأدب ج4، ص117

³ ديوان البحتري، ج1، ص547

قوله تعالى : (نَهَا شَجَرَةً تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ () طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) (1) وقول الشاعر امرئ القيس (2):

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقِ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

ففي الآية الكريمة شبه الله عز وجل طلع الشجرة التي تخرج من أصل الجحيم برؤوس الشياطين ، وبما أن الشيطان غير محسوس ولا يوجد فيه جزء مفرد محسوس فإنه يعد من الخيال بالنسبة للسامع ، ومن هنا سمي هذا التشبيه بالوهمي، وتأويل هذه الآية أن قبح الشياطين أستقر في النفوس حتى صار أشبه ما يكون بالواقعة المحسوسة مثلما استقر في النفوس حسن الحور العين والناس لا يعرفون عنها شيئاً ، ومن هنا ربط الله عز وجل بين شجرة الزقوم ورؤوس الشياطين. وفي بيت امرئ القيس لا توجد الأغوال لا هي ولا مادتها في الواقع وإنما اخترعها الوهم أو الخيال ولكن لو وجدت لأدركت بالحواس ، ومن هنا فإن تشبيه الشاعر المسنونة الزرق وهي السيوف بأنياب الأغوال يعد من قبيل التشبيه الوهمي.

التشبيه البليغ :

وهو التشبيه الذي لا تذكر فيه الأداة ولا يذكر فيه وجه الشبه أي هو التشبيه المؤكد والمجمل معاً ، وقد سمي بليغاً لما فيه من اختصار من جهة وما فيه من تصور وتخيل من جهة أخرى لأن وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب وفتح باب التأويل وهذا ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيراً³ ويعد القزويني التشبيه البعيد من البليغ لغرابته ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيلاً أحلى وموقعه في النفس ألطف ، وليس البعد في التشبيه هو التعقيد لأن التعقيد سوء ترتيب الألفاظ واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني (4) ، ومن شواهد هذا التشبيه قول ابو الحسن التهامي (5) :

فأقضوا مأربكم عجالاً إنما أعماركم سَفَرٌ من الأسفار

وقول ابو طالب المأموني (6) :

(1) الصفات 64-65 .

(2) ينظر: شرح ديوان امرئ القيس ص 62 .

(3) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص330.

(4) التلخيص ص 285 .

(5) ديوان ابي الحسن التهامي، ت محمد عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1982 ، ص309 .

(6) يتيمة الدهر ج 4، ص188 .

عزما تهم قضب وفيض أكفهم سحب وبيض وجوههم أقمار

وقول الفرزدق يمدح الإمام زين العابدين (عليه السلام) ¹:

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصر

ففي هذه الشواهد الثلاثة نلاحظ أن التشبيه يقتصر على طرفيه المشبه والمشبه به فلا وجود للأداة ولا وجه الشبه ولكن المتلقي يستطيع أن يستنبطهما من خلال السياق ففي البيت الأول المشبه هو (أعماركم) أما المشبه به (سفر) وفي البيت الثاني المشبه الأول (عزما تهم) والمشبه به (القضب) والمشبه الثاني (فيض أكفهم) والمشبه به (سحب) والمشبه الثالث (وجوههم) والمشبه به (أقمار) أما في البيت الثالث فالمشبه الأول (حبهم) والمشبه به (دين) والمشبه الثاني (بغضهم) والمشبه به (كفر) والمشبه الثالث قربهم والمشبه به (منجى ومعتصر).

التشبيه الضمني: وهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمح المشبه والمشبه به ويفهمان من خلال سياق الكلام، ويكون المشبه به دائماً محصلة للمشبه أو برهاناً على إمكان ما أسند إلى المشبه ² مثل قول المتنبي ⁽³⁾:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وقول المتنبي أيضاً ⁽⁴⁾:

وإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقوله أيضاً ⁽⁵⁾:

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها فإن في الخمر معنى ليس في العنب

وقول ابن الرومي ⁽⁶⁾ :

قد يشيب الفتى وليس عجباً إن يرى النور في القضيب الرطيب

وقول أبي تمام ⁽⁷⁾ :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

وقوله أيضاً ⁽⁸⁾:

¹ ديوان الفرزدق ص 513

² ينظر: البلاغة الاصطلاحية، عبد العزيز قليقة، ص 52

⁽³⁾ ديوان المتنبي ج 2 ص 425

⁽⁴⁾ ديوان المتنبي ج 2، ص 21

⁽⁵⁾ ديوان المتنبي ج 1، ص 100

⁽⁶⁾ ديوان ابن الرومي، ت حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 2، 2003، ص 138

⁽⁷⁾ شرح ديوان أبي تمام، ج 2، ص 38.

⁽⁸⁾ شرح ديوان أبي تمام، ج 1 ص 57.

**فاضم أقاصيهم إليك فإنه لا يزخر الوادي بغير شعاب
والسهم بالريش اللوام ولن ترى بيتاً بلا عمد ولا أطناب**

ففي البيت الأول أراد المتنبي أن يقول أن الذي اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألم له وهذا ليس باطلاً لأن الميت إذا جرح لا يتألم ، وفي هذا البيت وطريقه صياغة المعنى تشبيهه لمح إليه الشاعر وإن لم يصرح به أو يأت به على طريقة من طرق التشبيه المعروفة فضلاً عن أن طرفي التشبيه الضمني المقدرين يتطلبان التساوي أي أن الثاني يفى بمعنى الأول وهذا ما لا يمكن تحقيقه في التشبيه العادي الذي يقتضي التفاوت، وفي البيت الثاني يرى المتنبي أن سيف الدولة قد فاق الأنام الذي هو واحد منهم وصار جنساً آخر، ولما لم يكن ذلك مقبولاً أو مقنعاً احتاج الشاعر أن يقوي هذا التميز فألحقه بما لا نزاع فيه وهو المسك فإنه خرج عن أصله وهو الدم وصار جنساً آخر وهو العطر المعروف ، وفي البيت الثالث يقول المتنبي إذا كانت محبوبته من قبيلة تغلب التي لا تغلب فإن لها من رقتها وأنوثتها ومن حبها لي ما يجعلها مختلفة عن أهلها وبرهن على صحة كلامه بما للخمرة من خواص لا توجد في أصلها وهو العنب ويمكن أن نلاحظ التشبيه من خلال سياق البيت الذي يمثل معنى واحداً يقصده المتكلم لكنه يتخذ شكلين يمثل كل منهما طرفاً للتشبيه المستنبط من التركيب ويكون الثاني تأكيداً وتوضيحاً للأول، وهذه الطريقة في الصياغة يختارها ابن الرومي في البيت الرابع إذ يقول إذا ما شاب الفتى فهذا ليس عجباً فالنور هي الأزهار البيضاء تنتشر أيضاً بين القضيب الرطيب وفي هذا التعبير تشبيه غير مباشر وغير واضح يفهم من خلال السياق وفي البيت الخامس يخاطب أبو تمام المرأة فيقول: لا تنكري عطل الكريم من الغنى فهذا أمر طبيعي لأن الكرم يقضي على الغنى وللتأكيد هذا المعنى يقول بأن السيل يقضي على المكان العالي فيصبح الشق الثاني من البيت أشبه بالمشبه به والأول أشبه بالمشبه وهذا ما نستنتجه من سياق البيت، وفي البيتين الأخيرين يخاطب أبو تمام ممدوحه، ويطلب منه بأن يضم إليه قومه وأقاربه لأنه لا يعظم شأنه إلا بهم وللتأكيد هذا المعنى يقول أن الوادي لا يزخر ولا يعظم سيله حتى تدفع فيه الشعاب التي حوله، ويتكرر التشبيه الضمني في البيت الثاني من خلال تأكيد المعنى الأول بصورتين أخريين الأولى يقول فيها أن السهم الجيد هو الذي يكون ريشه يلائم بعضه بعضاً وكذلك البيت إنما يستقيم بعمده وإطنابه، وفي هذا التشبيه يأتي التركيب الثاني الذي يريد به المتكلم تأكيد المعنى الأول على شكل

مثل وهذا ما رأيناه ولاحظناه في الأبيات السابقة ومن الشواهد الأخرى على هذا التشبيه قول أبي فراس الحمداني⁽¹⁾:

سيذكرني قومي إذا جد جد هم وفي الليلة الظلماء بتفقد البدر

وقول أبو سليمان الواعظ⁽²⁾ :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل

فالشطر الثاني من البيت الأول هو بمثابة المثل وهو أيضاً تأكيد للمعنى المذكور في الشطر الأول وإن أخذ صورة أخرى فضلاً عن أنه يمثل أو يمكن تقديره مشبهاً به للمشبه الذي يمثله الشطر الأول ، وهذا ما يكشفه السياق وهذا الأمر يتكرر في البيت الثاني إذ يمثل الشطر الثاني مثلاً يؤكد به الشاعر المعنى الموجود في الشطر الأول فضلاً عن أنه يمثل المشبه به في التشبيه الذي تضمنه البيت وهو التشبيه الضمني أما المشبه فهو الشطر الأول، ومما يجب التذكير به هو أن هذا النوع من التشبيه لا تذكر فيه الأداة مطلقاً كما أن المشبه والمشبه به يمكن تأويلهما من خلال السياق كما لاحظناه خلال تحليل الشواهد السابقة ، وفي الغالب يكون وجه الشبه المقدر من خلال السياق عبارة عن صورة مركبة من عدة أشياء.

التشبيه المقلوب: ويسمى بالمعكوس والمنعكس وهو التشبيه الذي يجعل فيه المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً³ كما في قول المعري⁽⁴⁾:

ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك وقاعدة التشبيه نقضان ما يحكى

فالشاعر هنا يشبه المسك بصدغي المرأة وهو خلاف الواقع فالأصل هو المسك وهو ما يجب أن يكون مشبهاً به، أما الصدغ فهو الفرع وهو ما يجب أن يكون مشبهاً ولكن إيهاماً من الشاعر بأن الأصل هو الصدغ فإنه جعله مشبهاً به وجعل من الأصل وهو (المسك) مشبهاً ومن شواهد هذا التشبيه الأخرى قول البحتري⁽⁵⁾:

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تنهيا

وقول ابن المعتز⁽⁶⁾:

(1) ديوان أبي فراس الحمداني، ص 165 .

(2) جواهر البلاغة ص 308 .

(3) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 345، وينظر : البلاغة الاصطلاحية ، عبد العزيز قليقله، ص 50

(4) الطراز ، العلوي ،

(5) ديوان البحتري ، ج 2 ص 37 .

(6) ديوان ابن المعتز ص 123

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة إذ قصت من الظفر

وقول محمد بن وهب يمدح المأمون⁽¹⁾ :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

وقول البحتري في وصف سحابة⁽²⁾ :

كأن سناها بالعشي لصبحها تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وقوله أيضاً في وصف بركة المتوكل⁽³⁾ :

كانها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال وادها

ففي البيت الأول جعل البحتري الأصل مشبهاً وهو البدر والقضيب والفرع مشبهاً به وهو المرأة ويكون بذلك جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً على سبيل المبالغة ، وكذلك ابن المعتز في البيت الثاني إذ جعل القلامة التي تقص من الظفر مشبهاً به فأصبحت أصلاً بعد أن كانت فرعاً وجعل الهلال مشبهاً فأصبح فرعاً بعد أن كان أصلاً وينهج هذا النهج الشاعر محمد بن وهب في تشبيه غرة الصباح بوجه الخليفة حين يمتدح وبذلك يكون قد جعل المشبه مشبهاً به ، والمشبه به مشبهاً ، لأن الأخير هو الأصل والفتاة فرع لكنه وعلى سبيل المبالغة جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وهذا ما فعله البحتري في البيت الخامس إذ شبه سنا السحابة بالعشي بابتسامة الممدوح عيسى حين يتكلم ويبتسم فبالغ حتى جعل المشبه مشبهاً به والمشبه به مشبهاً ، ويكرر البحتري هذه الطريقة في البيت الأخير الذي يصف فيه بركة المتوكل إذ أن مبالغته في مدح الخليفة جعلته يعكس التشبيه فجعل من المشبه به وهو البركة في تدفقها مشبهاً وجعل يد الخليفة في كرمها مشبهاً به وبذلك أصبح الأصل فرعاً والفرع أصلاً ولأن المتكلم شاعراً كان أم أديباً الذي يلجأ إلى التشبيه المقلوب لجعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً فإن ابن جني يقول عنه " غلبة الفروع على الأصول وإنه فصل من فصول العربية طريف نجده في معاني العرب ، كما نجده في معاني الأعراب ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة " ⁽⁴⁾ ، ويسميه ابن الأثير "الطرد والعكس" ويرى أن الغرض منه المبالغة وهو أحد موضوعات علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ⁽⁵⁾ ، ويقرر العلوي ما تعارف عليه البلاغيون من " أن المشبه به ينبغي أن يكون الأصل وهو الأقوى والأوضح ولكن الشاعر قد يخرج على هذه

(1) أسرار البلاغة ص 194

(2) ديوان البحتري ج 2 ص 272 .

(3) المصدر نفسه ج 2 ص 354 .

(4) الخصائص ابن جني، تحقيق محمد رشيد رضا، القاهرة 1952، ج 1 ص 302.

(5) المثل السائر ، ج 1 ، ص 302.

القاعدة وهو يصور معانيه فيأتي بالتشبيهات التي تجري خلاف ما هو معروف وفي ذلك إثراء لهذا الفن¹، و يرى الجرجاني هذا النوع من التشبيه أنه يفتح باباً إلى دقائق وحقائق " وذلك جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً وهو كثير في التشبيهات الصريحة وذلك أنهم يشبهون الشيء فيها بالشيء في حال ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه بالأول فترى الشيء مشبهاً مرة ومشبهاً به أخرى ومن ذلك قولهم في تشبيه النجوم " أنها مصابيح " ثم قولهم في المصابيح " كأنها نجوم " وتشبيه العيون بالنرجس ثم تشبيه النرجس بالعيون² كقول أبي نواس⁽³⁾:

لدى نرجس غض القطاف كأنه إذا ما منحناه العيون عيون

وكذلك تشبيه الثغر بالأقاحي ثم تشبيهها بالثغر كقول ابن المعتز⁽⁴⁾ :

والأقحوان كالثنايا الغرّ قد صقلت أنواره بالقطر

وقول التنوخي⁵:

أقحوان معانق لشقيق كثغور تعضّ ورد الخدود

وتشبيه أنوار الرياض بالنجوم كما في قول البحري⁽⁶⁾ :

بكت السماء بها رذاذ دموعها فغدت تبسم عن نجوم سماء

ثم تشبيه النجوم بالنور في قول البحري⁷:

قد أقذف العيس في ليل كأن له وشياً من النور أو أرضاً من العشب

ويشير الجرجاني إلى أن " هذا القلب قد يمتنع في طرفي التشبيه لسبب يعرض في البين فيمنع منه ولا يكون من صميم الوصف المشترك بين الشيئين المشبه أحدهما بالآخر ، ومن ذلك وهو أقواه أن يكون بين الشيئين تفاوت شديد في الوصف الذي لأجله يشبه ثم يقصد المتكلم أن يلحق الناقص منهما بالزائد مبالغة ودلالة على أنه يفضل أمثاله فيه ،⁸ولهذا المعنى يرى الجرجاني ضعفاً في بيت البحري⁹:

¹ الطراز، العلوي، ج 1، ص 309

² اسرار البلاغة، الجرجاني، ص 204 .

⁽³⁾ ديوان أبي نواس. دار صادر ص 599

⁽⁴⁾ أسرار البلاغة ص 205..

⁵ يتيمة الدهر، الثعالبي، ج 2، ص 339.

⁽⁶⁾ ديوان البحري ج 2 ص 329.

⁷ ديوان البحري ج 1 ص 119

⁸ اسرار البلاغة، الجرجاني، ص 220

⁽⁹⁾ ديوان البحري ج 1 ص 561.

على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد

وعلل الضعف بأن "المداد ليس منه الأشياء التي لا مزيد عليها من السواد ، فهناك مداد فاقد اللون،والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى أن يكون مثلاً"¹ويستشهد على ذلك بقول ابن الرومي² :

حبرُ أبي حفص لعاب الليل

كأنه ألوان دُهم الخيل

يجري إلى الإخوان جري السيل

إذ بالغ في وصف الحبر بالسواد حيث شبهه بالليل ويرى الجرجاني أن البحتري نظر إلى قول العامة في الشيء الأسود" هو كالنقش" ثم تركه للقافية إلى المداد⁽³⁾ ويخلص الجرجاني بخصوص قاعدة قلب التشبيه أنه متى لم يقصد ضرب من المبالغة في إثبات الصفة للشيء والقصد إلى إيهام في الناقص ، فإن العكس يستقيم في التشبيه ومتى أريد شيء معه ذلك لم يستقم"⁽⁴⁾ .

وإذا ما عرفنا كيف يكون القلب في التشبيه الصريح ليكون تشبيهاً مقلوباً أو معكوساً ، فإن القلب في التمثيل لا يأتي بالطريقة نفسها التي في التشبيه الصريح إذ يكون القلب مبنياً على ضرب من التأويل والتخييل يخرج عن الظاهر خروجاً ويبعد عنه بعداً شديداً⁵ وهذا ما نجده في قول القاضي التنوخي⁶:

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

فتأويل هذا البيت أنه شاع واشتهر وصف السنة ونحوها بالبياض والإشراق ، والبدعة بخلاف ذلك ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم " أتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها " وقيل هذه حجة بيضاء وقيل سواد الكفر وظلمة الجهل، يخيل أن السنن كلها جنس من الأجناس التي لها الإشراق والنور وأن البدعة نوع من الأنواع ولها فضل اختصاص بسواد اللون فصار تشبيه النجوم بين الدجى بالسنن بين الابتداع على قياس تشبيههم النجوم في الظلام ببياض الشيب في سواد الشباب وبالأنوار واختلفها بين النبات الشديد خضرة فهنا بنى الشاعر التشبيه على تأويل هو غير الظاهر

¹ اسرار البلاغة، الجرجاني، ص220

² ديوان ابن الرومي، ج5، ص1994

⁽³⁾ أسرار البلاغة ص221

⁽⁴⁾ أسرار البلاغة ص222 .

⁵ ينظر اسرار البلاغة، الجرجاني، 225 .

⁶ يتيمة الدهرج، ص336

والتأويل ههنا أنه خيّل ما ليس بمتلّون كأنه متلّون¹، ومن شواهد القلب الأخرى في التمثيل قول الشاعر أبي طالب الرقي⁽²⁾:

ولقد ذكرتكَ والزمان كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فقد شبه الزمان الذي حلت به المصاعب والمكاره بيوم النوى ظنا منه ان يوم البعد اقرب للسواد من الظلام ثم عاد ليعطف عليه فؤاد من لم يعشق تأكيدا للصفة ، وذلك أن من لم يجرب العشق يوصف بالقسوة وبالتالي فان القلب القاسي يوصف بشدة السواد ، فجاء قلب طرفي التشبيه فجعل الفرع اصلا والاصل فرعاً ولما كان القلب في التمثيل فانه يحتاج إلى تفكر وتأنٍ في التأويل وغالبا ما يكون هذا التشبيه محسوسا بمعقول كما في قول ابن بابك⁽³⁾:

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها وقد كحل الليل السماك فابصرا

فالأخلاق توصف عادة بالسعة فان الشاعر قابل بين سعة الأرض وهي سعة واقعية وبين سعة أخلاق الكريم وفي هذا القلب مبالغة في تصوير أخلاق الكريم ولما كان هذا التشبيه تمثيلاً فإنه يحتاج من السامع أو المتلقي إلى تأمل ودقة نظر وثقافة عالية من أجل الوصول إلى الغاية المقصودة منه والإحساس بما يتضمنه من جماليات وحسن ليتسنى له التأثير به والانفعال والتفاعل مع صورته.

ويشير الجرجاني إلى الفرق الواضح بين نوعين من التشبيه المقلوب والمعكوس ، الأول هو المقلوب الصريح والثاني المقلوب التمثيلي إذ هناك اختلاف بينهما لأن السامع لا يحتاج في تشبيه البرق بالسيف أو العكس إلى تأويل أكثر من أن العين تؤدي إليك من حيث الشكل واللون وكيفية اللمعان صورة تجدها في كل واحد من الشئيين على الحقيقة ، أما التمثيل فهو تشبيه من طريق العقل والمقاييس التي تجمع بين الشئيين في حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا في نفس الصفة⁽⁴⁾.

التشبيه التمثيلي :

وهو الذي يكون فيه وجه الشبه صورة مركبة من عدة أجزاء أو هيئة حاصلة من أشياء ، وكان أبو عبيدة قد ذكر مصطلح التمثيل وقصد به التشبيه عموماً⁵ عندما قال في تفسير قوله تعالى:

¹ ينظر أسرار البلاغة ، 227

⁽²⁾ بيتمة الدهرج 1 ، ص 282

⁽³⁾ أسرار البلاغة ص 201 .

⁽⁴⁾ ينظر: أسرار البلاغة ص 205 .

⁵ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص 333،

(أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ)⁽¹⁾ ومجاز الآية مجاز التمثيل لأن ما بنوه على النقول أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف، وهو ما يجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه⁽²⁾ وهذا التفسير لا يفرق بين التشبيه والتمثيل، إلا أن قدامة بن جعفر يمكن أن يكون أول من عد التمثيل مخالفاً للتشبيه، فهو عنده من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى وقال: "هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه ومثل على ذلك بقول الرماح بن ميادة"⁽³⁾:

ألم تك في يمنى يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شمالكا
ولو أنني أذنبت ما كنت هالكا على خصلة من صالحات خصالكا

ويقول قدامة أيضاً: "والتمثيل أن يراد الإشارة إلى معنى فتوضع ألفاظ تدل على معنى آخر وذلك المعنى وتلك الألفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالإشارة إليه والعبارة عنه ، كما كتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد حين تلاكأ عن بيعته " أما بعد فأني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي فاعتمد على أيهما شئت والسلام "فهذا التمثيل من الموقع ما ليس له لو قصد للمعنى بلفظه الخاص حتى لو أنه قال مثلاً بلغني تلكوك عن بيعتي فإذا أتاك كتابي هذا فبايع أو لا "لم يكن لهذا اللفظ من العمل في المعنى بالتمثيل ما لما قدمه"⁽⁴⁾ ويذهب ابن سنان إلى ما ذهب إليه قدامة ويذكر أمثله⁽⁵⁾، وكذلك فعل المصري وألحق به ما يخرج المتكلم مخرج المثل السائر⁽⁶⁾، ولكن هذا التفسير المفهوم التشبيه التمثيلي ينطق على الاستعارة التمثيلية وذلك لأن المشبه به غير موجود وكذلك الأداة ولعل هذا ما جعل القزويني يسميه "المجاز المركب" ويعرفه بقوله " أنه اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه " وقد ذكر عبارة يزيد بن الوليد مثلاً له⁽⁷⁾، وكذلك فعل الباقلاني الذي يعد التمثيل الذي ذكره قدامة ضرب من الاستعارة⁽⁸⁾ وكذلك عند ابن رشيق فالتمثيل ضرب من الاستعارة إذ يقول " والتمثيل والاستعارة من التشبيه إلا أنهما بغير أدواته وعلى غير أسلوبه "⁽⁹⁾.

(1) سورة التوبة آية 109 .

(2) ينظر: مجاز القرآن أبو عبيدة ص269

(3) ينظر: نقد الشعر قدامة بن جعفر ص182

(4) ينظر: جواهر الألفاظ، قدامة بن جعفر، ت محمد محي الدين عبد الحميد، العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، دار الكتب 1985 ص7

(5) ينظر: سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي 273

(6) ينظر: تحرير التحبير ابن أبي أصيبعة 114.

(7) ينظر: التلخيص القزويني 322 .

(8) إعجاز القرآن الباقلاني ص 119 .

(9) العمدة ابن رشيق ص280

أما العلامة عبد القاهر الجرجاني فقد وضع حداً واضحاً بين أقسام التشبيه من جهة وجه الشبه ، فمن أقسامه التشبيه التمثيلي والتشبيه غير التمثيلي، فالتشبيه غير التمثيلي هو ما كان وجه الشبه فيه أمراً ظاهراً لا يحتاج فيه إلى تأويل وصرف عن الظاهر لأن المشبه به في صفته ويتحقق هذا التشبيه في ضربين⁽¹⁾:

1- أن يكون وجه الشبه حسياً أي مدرك بإحدى الحواس الخمس ومن ذلك تشبيه الشيء إذا استدارته بالكرة أو بالحلقة ، وتشبيه الخدود بالورد والشعر بالظلام والوجه بالبدر باللون، وكذلك تشبيه شيئين كتشبيه أطيط الرجل بأصوات الفراريح كما في قول ذي الرمة² :

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس انقاض الفراريح

اذ يشبه الشاعر أصوات أواخر الميس (و هي شجرة تتخذ منها الرحال) أصوات الفراريح من إيغالهن بنا ، ليحصل صوت يشبه صوت صغار الدجاج وذلك بسبب السير واضطراب الرجل ووجه الشبه النغمة الخاصة .

2- أن يكون وجه الشبه عقلياً حقيقياً أي ثابتاً في الموصوف وهو الغرائز والطباع مثل الكرم والبخل والشجاعة والجبن والذكاء والغباء والصبر واللؤم والتشبيه في كل ذلك لا يحتاج إلى تأويل مثل قول أبي فراس³:

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذناباً على أجسادهم ثياب

فالشاعر يشبه الناس بالذناب في الغدر ووجه الشبه هنا عقلي ولكنه ثابت في الطرفين ولا يحتاج إلى تأويل فالغدر موجود لدى بعض الناس وموجود لدى الذئب ، وهذا التشبيه يسميه الجرجاني بالظاهر أو الصريح أو التشبيه فقط وهو التشبيه الأصلي الحقيقي.

أما التشبيه التمثيلي فإن الجرجاني يرى أن وجه الشبه فيه لا يكون واضحاً بنفسه مما يتطلب إلى تأويل وذلك لأن المشبه لم يشارك المشبه به بشكل مباشر ، وذلك عندما يكون وجه الشبه عقلياً غير حقيقي مثل قول فاطمة بنت الخرشب الانمارية حينما سئلت أي بنيتها أفضل ؟ فقالت (هم

(1) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ص 74 - 80 .

² ديوان ذي الرمة ص 42

³ ديوان أبي فراس الحمداني ص 46

فالحاجة إلى التأويل تأتي من أجل فهم وجه الشبه وتحديدده فالمشبه في هذا القول وهو (أولادها) لم ينصف بالوصف الظاهر للمشبه به (الحلقة المفرغة) وهو الاستدارة التامة مع استواء الأجزاء ولكن المقصود هو لازم ذلك وهو التناسب التام وعدم إمكان التفاوت بين جزء وجزء وهو مفرد وقيل أنه مركب لأنه أراك صورة أمور تساوت حتى استحال تميز بعضها من بعض⁽²⁾، ويجعل الجرجاني هذا الشاهد من التشبيه التمثيلي الذي تقوى فيه الحاجة إلى التأويل حتى لا يعرف المقصود من التشبيه فيه ببديهة السماع فلا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة بعكس تشبيه الحجة بالشمس ، فإنه كالمشترك البين الاشتراك حتى يستوي في معرفته اللبيب يقيظ والمضعوف المغفل، أو جاء توضيحه هذا بعد أن أقرّ أن التشبيه التمثيلي يتفاوت تفاوتاً شديداً من حيث التأويل فمنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه ومنه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل ومنه ما يبدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجِه إلى فضل رؤية ولطف فكرة ، وهذا الأخير لا تراه إلا في الآداب والحكم الماثورة عن الفضلاء وذوى العقول الكاملة⁽³⁾.

لما كان التشبيه التمثيلي أبلغ من غيره لما يحتاجه من كد للذهن في استخراج الصورة المنتزعة من عدة أشياء، ولما كان يكثر في كلام البلغاء فقد تكرر وجوده في القرآن الكريم ومن شواهد القرآنية قوله تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)⁽⁴⁾ وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً)⁽⁵⁾ وقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

(5) سورة النور آية 39 .

أَسْفَارًا) (1) وقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (2) وقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ) (3) وقوله تعالى: (أَنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (4).

ففي الآية الأولى وجه الشبه صورة منتزعة من عدة أشياء تتطلب تفكر وتدبر للوصول إليها وذلك من خلال التأويل ، وهذه الأشياء هي إشعال النار وإضاءة ما حول من يشعلها وذهاب الله بنورهم أي بصرهم فأصبحوا لا يبصرون شيئاً وأصبح ضوء النار لا ينفعهم فهذه الصور المركبة يشبه بها الله عز وجل من أمن ثم كفر بعد ذلك فيقابل النور الذي استوقده الإيمان أول مرة ويقابل ذهاب الله ببصرهم الكفر الذي عادوا إليه ، وهذا التأويل لا يمكن أن يصل إليه إلا من كان يمتلك ثقافة عالية وقدرة كبيرة في سبر أغوار المعاني، أما في الآية الثانية فالمشبه هو أعمال الذين كفروا بربهم والمشبه به هو السراب بقية يحسبه الضمآن ماء حتى إذا اقترب منه لم يجد شيئاً فوجه الشبه هو التهيؤ فمثلاً يتهيأ لمن يرى السراب أنه بقعة ماء يتهيأ للكفار أن أعمالهم سوف تنفعهم وهذا لا يكون لأن من يكفر بالله لا يقبل له أي عمل ، وبذلك يكون وجه الشبه ليس مفرداً بل مركباً بطريقة لا يمكن فصل أجزائه وإذا ما فصلت فإن القصد من التشبيه لا يتحقق فضلاً عن أنه يفقد تأثيره في السامع وفي الآية الثالثة نلاحظ أن المشبه هو حال أبحار اليهود وقد حفظوا ما في التوراة ولم يعملوا بشيء منها ولم ينتفعوا به أما المشبه به فهو حال الحمار الذي يحمل أوعية المعارف ونتاج العقول وهو جاهل لها لا يتحصل على شيء منها سوى التعب والجهد ، أما وجه الشبه فهو شقاء كل من يمتلك المنافع الكبيرة دون ينتفع منها بشيء مع تعبها في حملها، وبذلك يكون وجه الشبه صورة منتزعة من عدة أشياء وهي امتلاك واصطحاب المنافع والتعب معها وعدم الانتفاع منها فهذه الأشياء الثلاثة هي ما يقوم عليها وجه الشبه ولا يمكن فصلها لأن فائدتها لا تتحقق إلا باجتماعها فوجه الشبه هنا منتزع من الحمل إضافة إلى أمرين آخرين أحدهما تعديه إلى الأسفار والآخر اقتران الجهل للأسفار به وبذلك لا يمكن الفصل بين الحمل وهذين الأمرين لأن الفائدة المرجوة والمعنى المقصود

(1) سورة الجمعة آية 5 .

(2) سورة العنكبوت آية 41 .

(3) سورة البقرة آية 261 .

(4) سورة يونس الآية 24 .

لا يتحققان فإن قال أحد في اليهود شبه من الحمل من حيث هو حمل على حال وذلك أن الحافظ للشيء بقلبه يشبه الحامل للشيء على ظهره ولذلك يقال حملة الحديث وحملة العلم ، فالجواب أن الأمر وإن كان كذلك فإن هذا الشبه لم يقصد هنا وإنما قصد ما يوجبه تعدي الحمل إلى الأسفار مع اقتران الجهل بها وهو العناء بلا منفعة⁽¹⁾.

أما في الآية الرابعة فالمشبه هو من اتخذوا من دون الله أولياء أما المشبه به فهو اتخاذ العنكبوت بيته، أما وجه الشبه فهو ضعف هذا البيت إذ لا يمكن أن يحمي صاحبه فوجه الشبه ليس الضعف مطلقاً وإن كان يبدو كذلك ولا البيت بل اختيار هذا البيت المرتبط بطبيعته وضعفه وعدم حمايته لصاحبه فهذه مجموعة أشياء مترابطة ولا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق التأويل فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اختيار ما يحميه وضعف هذه الحماية، وهنا إشارة إلى الأولياء الذين يتخذونهم من دون الله.

أما في الآية الخامسة فالمشبه هو إنفاق المال في سبيل الله وهو صورة مركبة أما المشبه به فهو صورة مركبة من عدة أشياء فهذه الأشياء هي الحبة المزروعة والتي أنبتت سبع سنابل وفي كل سنبل مائة حبة ، أذن فوجه الشبه ليس التكاثر بشكل مطلق بل التكاثر المرتبط بأمر آخرى وهي الإنبات والحبة وهنا إشارة إلى مردود الإنفاق في سبيل الله كيف يتكاثر ويعطي للمنفق أضعافاً مضاعفة ، ومن أجل الوصول إلى وجه الشبه وهو ما قصد من هذا التشبيه لابد من اللجوء إلى التأويل وربط أجزاء التشبيه مع بعضها وربطها بصورة المشبه من أجل الوصول إلى صورة وجه الشبه.

وفي الآية الأخيرة نجد المشبه يتمثل بحال الدنيا في زوالها وفناء نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس فيها ، أما المشبه به فهو حال نبات الأرض وقد ذهبت نضرته فصار حطاماً أو هشيماً تذروه الرياح بعد ما زين الأرض بخضرته واطمأن الناس إلى دنو ثماره وظنوا سلامته عن الجوائح، ومن خلال النظرة العميقة المتفحصية والتأويل نصل إلى صورة وجه الشبه المتمثل بالهيئة الحاصلة من انقراض النعيم بعد الإقبال وعموم النفع واغترار الناس به، وفي هذه الآية تكثر الجمل حتى أننا نرى فيها عشر جمل إذا فصلت، وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صورة الجمل حاصلة تشير إليها واحدة واحدة، ثم أن الشبه منتزع من مجموعها

(1) ينظر أسرار البلاغة ، ص 84 .

من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وإفراد شطر من شطر حتى أنك لو حذفتم منها جملة واحدة من أي موضع كان أخل ذلك بالمعنى والهدف من التشبيه⁽¹⁾.

وإذا كان وجود هذا التشبيه في القرآن الكريم يشكل سمة مميزة للتشبيه عموماً فإن الشعر العربي على مر العصور لم يخل من عدد كبير من هذه التشبيهات التي تعكس قدرة الشعراء في صياغة المعاني بالشكل الذي يضمن التأثير في السامع ومن ثم نقله إلى أجواء هذه المعاني ومن شواهد هذا التشبيه الشعرية قول بشار بن برد²:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول الشاعر⁽³⁾ :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

وقول لبيد بن ربيعة⁽⁴⁾ :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً تردّ الودائع

وقول ابن المعتز⁽⁵⁾ :

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

وقول صالح بن عبد القدوس⁽⁶⁾:

وإن من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقاً ناضراً بعد الذي أبصرت من يبسه

وقول الشاعر⁽⁷⁾ :

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مرآة تبردت في كف مرتعش

وقول أبي تمام⁽⁸⁾:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

(1) ينظر أسرار البلاغة الجرجاني ، 87 .

² ديوان بشار بن برد ، ج 1 ، ص 335

(3) جواهر البلاغة 287 .

(4) ديوان لبيد بن ربيعة ص 89

(5) أسرار البلاغة ص 78 .

(6) أسرار البلاغة ص 79 .

(7) جواهر البلاغة ، ص 291 .

(8) ديوان أبي تمام ج 1 ص 397

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وقول الشاعر نصيب⁽¹⁾ :

كأن القلب ليلة قيل يغدي	بليلى العامرية أو يراح
قطاة مسها شرك فباتت	تجاذبه وقد علق الجناح
لها فرخان قد تركا بوكـر	فعضهما تصفقه الرياح
إذا سمعا هبوب الريح نصا	وقد أودى به القدر المتاح
فلا في الليل نالت ما ترجى	ولا في الصبح كان لها براح

وقول المتنبي⁽²⁾ :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

وقول الشاعر⁽³⁾ :

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

وقول عنتره⁽⁴⁾ :

فكأنما تلك الجسوم صوارم نحت الحمام من اللهود غمودها

وقوله أيضاً⁽⁵⁾ :

والنغر من تحت اللثام كأنه برق تلالاً في الظلام المسدل

وقوله أيضاً⁽⁶⁾ :

وكل رديني كأن سنانه شهاب بدا في ظلمة الليل واضح

وكقول أبي نواس في وصف الخمرة⁽⁷⁾ :

كأنها ولسان الماء يقرعها نارٌ تأججٌ في آجام قصباء

وقوله أيضاً في وصف الخمرة⁽⁸⁾ :

كأنها لؤلؤٌ تبدده أيدي عذارى أفضى بها اللعب

وقوله أيضاً⁽¹⁾ :

(1) شعر نصيب بن رباح ص 74 .

(2) ديوان المتنبي ج 1 ، ص 88 .

(3) أسرار البلاغة 98 .

(4) شرح ديوان عنتره ، شرح طراد مجيد ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط 1 ، 1992 ، ص 51 .

(5) شرح ديوان عنتره 116

(6) شرح ديوان عنتره 46

(7) ديوان أبي نواس ج 3، ص 13.

(8) المصدر نفسه ج 3 ، ص 35

كأن صغرى وكبرى من فواقها حصباء در على أرض من الذهب

ففي البيت الأول لبشار المشبه والمشبه به كل منهما صورة مركبة فالمشبه هو الغبار الكثيف في ساحة المعركة مع السيوف في لمعانها، أما المشبه به فهو الليل الذي تتساقط فيه الكواكب، ومن هنا فإن وجه الشبه وهو الضوء أو البريق في الظلمة يحتاج إلى تأويل وإلى تركيب أكثر من عنصر للوصول إليه وكانت الصورة حسية فأنه من قبيل التشبيه التمثيلي الذي يكون وقعه أبلغ في السامع.

أما في البيت الثاني فوجه الشبه هو سرعة الفناء وقد انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالاً فيصير بدرًا، ثم ينقص حتى يدركه المحاق، وبذلك يكون وجه الشبه صورة منتزعة من عدة أشياء وللوصول إليه لا بد من تأويل.

أما في البيت الثالث فإن الشاعر لبى شبه المال والأهل في حياتهم بالودائع أي الأمانة التي لا بد أن ترد في يوم من الأيام وهذا التشبيه تمثيلي لأن الشاعر اختار وجه الشبه صورة مركبة من عدة أشياء وتحتاج إلى إعمال الذهن وتدقيق النظر للوصول إليها، ووجه الشبه هو الزوال.

أما بيتا ابن المعتز فالتشبيه كان صورة بصورة فالمشبه الصبر على مضض الحسود ليرده، ويعود ابن المعتز لتمثيل ذلك من خلال صورة مركبة ومنتزعة من عدة أشياء لا يمكن فصلها، ووجه الشبه هو رجوع الحسد إلى الحسود نفسه، والملاحظ على وجه الشبه بأنه صعب المنال إذ يحتاج إلى تأويل وتدقيق للوصول إليه، وهذا ما يجعل تأثيره في النفس أكثر وأعمق مثلما يتطلب من الشاعر قدرة أكبر في ربط أجزاءه بشكل محكم، وهذا ما فعله الشاعر صالح بن عبد القدوس في بيتيه إذ شبه الإنسان في تأديبه في صباه بالعود المزروع الذي يدارى ويسقى ليورق ويصبح ناضراً وبذلك يكون التأديب في الصبا أشبه بسقي الزرع ومداراته وكذلك النتيجة في الطرفين فوجه الشبه هو التربية وهو منتزعة من مجموعة أمور لا يمكن فصلها عن بعض لأن ذلك لا يحقق القصد من التشبيه.

وفي الشاهد السادس يشبه الشاعر الشمس حين تطلع حمراء لأمعة مضطربة بمرآة من ذهب تضطرب في كف مرتعش، فوجه الشبه هو الاضطراب وهو صورة حسية منتزعة من عدة أمور وهي المرآة والذهب والكف والارتعاش فمن هذه الأشياء خلق الشاعر صورة لوجه الشبه لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال التأويل والبحث عن أوجه الربط بينها، كما لا يمكن الفصل بين هذه

الأشياء لأن القصد سوف لا يتحقق فهو لم يقصد تشبيه الشمس بالمرآة بشكل مطلق بل قصد تشبيه حركة الضوء الصادر من الشمس من بين الأرائك فاختار صورة مركبة للتعبير عن هذا المعنى.

وفي بيتي أبي تمام نلاحظ القدرة العالية في تصوير الحسود من خلال التشبيه الذي يقوم على التركيب في طرفيه فالمشبه هو صورة مركبة وتتمثل في نشر الفضيلة من قبل الحسود فيكون الحسود سبباً في نشر الفضيلة أما المشبه به فهو اشتعال النار في العود والذي ينبه إلى رائحته الطيبة ووجه الشبه هو الانتشار، ولكن صورة هذا الانتشار جعلها الشاعر منتزعة من عدة أشياء لابد من التأويل للوصول إليها ، وهذه الأشياء هي اشتعال النار وانتشارها ومعرفة الرائحة الناتجة عن احتراق العود، كما أن هذه الأشياء لا بد من ربطها مع بعض بصورة تجعل صورة المشبه المراد توضيحها للمتلقي بارزة.

وفي أبيات نصيب يتشعب وجه الشبه وتتعدد أجزائه بشكل واسع مما يتطلب كد الذهن والتأويل الدقيق للوصول إلى هيئة وجه الشبه وبالتالي إلى ما قصده الشاعر من تشبيه لنقف عند جماليات التعبير فيه ونتفاعل معه، إذ يقول الشاعر أن الليلة التي أخبروه فيها أن ليلى العامرية وهي حبيبته سوف تسافر خفق قلبه وشبه حالة قلبه هذه بالقطاة التي وقعت في شباك الصياد فباتت تحاول أن تتخلص من الشباك إلا أنها لم تستطع لأن جناحها قد علقا في الشراك فحاله كحال هذه القطاة التي تركت فرخين لها فباتا فزعين وعندما سمعا صوت الرياح في عشهما ظناه صوت أمهما فطلعا برأسهما في لهفة إليها ولكن كيف يرونها وقد علقت ووقعت في شرك الصياد وأودى القدر والحظ بهما وبأمهما، فوجه الشبه هو الحظ العاثر وفقدان المحب وهو قد تحقق من خلال ارتباط عدة أشياء مع بعضها لتشكل صورة أو هيئة يمكن الوصول إليها من خلال التأويل لهذه الأشياء هي القطاة وشرك الصياد والفرخان صوت الرياح والفراق فمن هذه الأشياء ينتزع وجه الشبه، ولا يمكن الفصل بينها لأن القصد من التشبيه لا يتحقق.

أما الشاهد التاسع وهو بيت المتنبي في مدح سيف الدولة فأن طرفي التشبيه مركبان فالمشبه مكوناً من الممدوح واهتزاز الجيش من حوله أما المشبه فهو العقاب وجناحها اللذان تنفضهما ووجه الشبه أيضاً صورة منتزعة من الجناحين مع الحركة ولا يمكن فصلهما.

وفي الشاهد العاشر يشبه الشاعر نظر الحبيبة وأعراضها بوقع السهام ونزعهن ووجه الشبه هنا صورة منتزعة من عدة أشياء وهي (السهم، وقعها، نزعها) وبدون تركيب هذه الأشياء لا يمكن

أن تتحقق صورة المشبه به الذي يصور به الشاعر حال المشبه، وللوصول لوجه الشبه لابد من تأويل.

أما أبيات عنتره الثلاثة؛ فوجه الشبه أيضا منتزع من عدة أشياء ففي البيت الاول نجد أن المشبه هو مفرد ويتمثل بالجسوم أما المشبه به فهو مركب ويتمثل بالصوارم أي السيوف ولكن أي سيوف أنها التي نحت الحمام أي الموت غمدها من اللحود أي السيوف التي صنعت أغمادها من اللحود ، ففي هذا التشبيه الذي يقصد فيه الشاعر تصوير اندفاعهم نحو الموت في ساعة المعركة للدفاع عن حمى القبيلة يجعل من وجه الشبه صورة حسية منتزعة من عدة أشياء ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال التأويل فضلاً عن أن المشبه به يمكن أن يكون خيالياً لأن صورته بشكل مجتمع غير متحققة في الواقع (أغماد من اللحود) ولكنها موجودة بشكل مفرد (الأغماد واللحود)، وفي البيت الثاني لعنتره أيضاً نجد التمثيل يأتي من خلال وجه الشبه المنتزع من عدة أشياء وهي (البياض وسط الظلمة) فالمشبه هو بروز الثغر وأراد به الأسنان من بين اللثام أما المشبه به فهو البرق الذي يتلألأ وسط الظلام المطبق، ومن هنا فإن وجه الشبه يأتي من البرق والفعل تلاًلأ وظلمة الليل ولا يمكن أن يتحقق القصد من التشبيه إلا باجتماع هذه الأجزاء إما بفصلها أو الإبقاء على بعضها فإن ذلك يفسد قصدية التشبيه وجمالياته، وقريب من هذا التشبيه قول عنتره أيضاً في بيته الثالث الذي يشبه فيه سنان الرمح الرديني بالشهاب الذي يظهر ويلوح في ظلمة الليل ، فوجه الشبه صورة منتزعة من الشهاب وظهوره ونوره وظلمة الليل فاجتماع هذه الأشياء هو ما يصف المشبه وإلا فإن هدف التشبيه ينتفي وتأثيره يزول.

وفي الشواهد الثلاثة الأخيرة وهي أبيات لأبي نواس نلاحظ فيها أيضاً كيفية تشكيل وجه الشبه في التشبيه التمثيلي والتي تقوم على التركيب الذي لا يمكن الفصل بين أجزاء والذي يحتاج في الغالب إلى تأويل للوصول إلى طبيعته أو صورته، مع ضرورة الملاحظة أن هذا التركيب ليس بالضروري أن يكون في المشبه كما مر بنا، ولكن يشترط وجوده في المشبه به الذي يسهم في رسم صورة وجه الشبه ، ، ففي البيت الأول يشبه أبو نواس الخمرة عندما يصب عليها الماء وتبدأ بالفوران بالنار التي تتأجج ويزداد لهيبها ، عندما تكون في آجام قصباء أي النبات الذي يكون مجوفاً فيزيد من لهب النار فوجه الشبه صورة منتزعة أيضاً من عدة أشياء وهي النار واللهب المتصاعد والنبات المجوف، ولتحقيق صورة المشبه لابد من اجتماع هذه الأشياء التي تشكل في مجموعها صورة المشبه به الذي يعكس صورة المشبه، ليصبح تأثيرها في السامع أقوى وأكبر، وهذا التركيب

في وجه الشبه، وفي البيت الثاني يشبه أبو نؤاس الفقاعات التي تتصاعد من كأس الخمرة عند صبها باللولؤ الذي تتقاذفه العذارى عندما يغلب عليهن اللعب، فوجه الشبه أيضاً صورة منتزعة من عدة أشياء وهي اللؤلؤ والتقاذف وهذه الأشياء لا يمكن فصلها عن بعض لأن ذلك يؤدي إلى فساد التشبيه، وعدم تحقق القصد، أما البيت الثالث فقد شبه أبو نؤاس الفقاعات الصغيرة والكبيرة التي تتطاير من كأس الخمرة بالحصى الذي يشبه الدرر والذي يترامى على أرض من ذهب، فوجه الشبه هنا منتزع من عدة أشياء ولا يمكن فصلها عن بعض، وهذه الأشياء هي الحصى وهذا الحصى ليس كأى حصى بل هو كالدُر والأرض ليست الأرض العادية بل من ذهب يضاف إلى ذلك انتشار هذه الحصى على الأرض، وعلى الرغم من أن الصورة حسية ولا تحتاج إلى قدر من التأويل يعادل ما تحتاجه الصورة العقلية إلا أنها تبقى محتاجة إلى التأويل الذي يكون متفاوتاً بين التشبيهات كما نص على ذلك الجرجاني.

وهكذا لاحظنا من خلال الشواهد السابقة من التشبيه التمثيلي كيف أن وجه الشبه الذي يكون منتزعا من عدة أشياء يزيد من وضوح المعاني ويرفع من قدرها ويزيد من جمالها وتأثيرها في السامع، وبالطبع ليس كل هذه التشبيهات بدرجة واحدة من الجمال والتأثير فهناك ما هو جميل وهناك ما هو أجمل وهناك ما هو الأجل وهو ما يحتاج إلى كد الذهن ودقة في التأويل وثقافة عالية.

الفرق بين التشبيه العام والتشبيه التمثيلي :

يطلق العلامة الجرجاني على التشبيه العام مصطلح التشبيه فقط ولتمييز التشبيه التمثيلي عنه يطلق عليه التمثيل، وقد أخذ علماء البلاغة المتأخرون اسم العام من كلام الجرجاني في تفريقه بين التشبيه والتمثيل إذ يرى "أن الأول عام والثاني خاص فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل"¹ ويورد بيت قيس بن الخطيم الذي يقول فيه⁽²⁾:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنفود ملاحية حين نورا

إذ يقول عنه الجرجاني أنه تشبيه حسن وليس بتمثيل وكذلك قول ابن المعتز:

¹ ينظر أسرار البلاغة، الجرجاني، ص 95
⁽²⁾ ديوان قيس بن الخطيم، ت، ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، 1967، ص 234

كان عيون النرجس الغض حولها مدهن در حشوهن عقيق

فوجه الشبه في هذين التشبيهين على رأي الجرجاني لا يحتاج إلى تأويل وذلك لأن وجه الشبه ثابت في الطرفين بحقيقته وجنسه والتفاوت بينهما بالقوة والضعف والكثرة والقلّة في بيت قيس بن الخطيم وجه الشبه هو الشكل واللون متحقق في المشبه (الثريا) وطريقة توزيع النجوم فيها وفي المشبه به وهو عنقود العنب وكذلك الضوء أو الظهور ، فهو متحقق في كلا الطرفين ولا يحتاج إلى تأويل للوصول إليه.

ومن الفروق الأخرى بين التشبيه العام والتشبيه التمثيلي أن الأول لا يحتاج من المبدع (الشاعر أو الكاتب) كد الذهن وعمل العقل من أجل تحقيقه ولذلك فإننا نراه عند معظم الشعراء والكتاب أما الثاني فهو يحتاج إلى إعمال العقل وتحريك الفكر والدقة في الربط لأنه في الغالب يقوم على ربط عدة أجزاء مع بعضها للوصول إلى صورة أو هيئة نستنتج من خلالها هدف وقصد الشاعر أو الكاتب ولذلك فنحن لا نراه إلا في الأدب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوي العقول الكاملة وهذا يؤكد اتساع دائرة هذا التشبيه في القرآن الكريم فتكاد تكون معظم التشبيهات من هذا النوع نظراً لبلاغتها العالية.

وأخيراً القدرة في تصوير الأمور والتأثير في نفوس المتلقين إذ أن قدرة التشبيه العام تكاد تكون محدودة إذا ما قسناها بقدرة التشبيه التمثيلي فالثاني له القدرة على نقل المعنى بدقة متناهية تجعله أكثر تأثيراً في المتلقين، إذ يقول الجرجاني عن أثر التمثيل في المعنى الممثل، فإن كان مدحاً كان أبهى وأفخم وأنبّل في النفوس، وأعظم وأهز للعطف، وأسرع للألف، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعاً للمادح، وأفضى له بغير المواهب والمناجح، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر ، وإن كان ذمّاً كان مسهّ أوجع وميسمه أذع ، ووقعه أشد وحدة أحد..... (1).

ويلق الزمخشري على أثر التمثيل في النفوس بعد تفسيره لقوله تعالى (صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)² ويؤكد أن الأمثال توظف من أجل اظهار ما خفي من المعاني لتجسيد المتخيل في هيئة المتحقق والغائب بالحاضر ولذلك كثر في كتاب الله وكلام نبيه الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الأنبياء والحكماء⁽³⁾.

(1) ينظر: أسرار البلاغة 115 وما بعدها .

² البقرة 18

(3) ينظر: الكشاف الزمخشري ، مطبعة الاستقامة 1953 ص 54 وما بعدها .

ولعل جمال هذا النوع من التشبيه يأتي من خلال جعل السامع أو المتلقي أكثر التصاقاً بالنص وأكثر تعايشاً معه من خلال الرغبة في الكشف عن قصد صاحبه وهذا القصد لا يتأتى إلا من خلال ربط الأجزاء مع بعضها وهذا الارتباط حيوي لأنه بدونَه لا يتحقق القصد ولا تتضح صورة أو هيئة وجه الشبه ، كما أن المتلقي وبعد ربطه الصحيح والناجح للأجزاء تتضح له القدرة التي يمتلكها صاحب النص والتي جعلته يشكل معناه بهذه الطريقة دون غيرها.

أغراض التشبيه :

من المؤكد أن الغرض من التشبيه أو فائدته ينصب على المشبه فهو مركز الصورة التشبيهية وللتشبيه أغراض أهمها:

1- بيان حال المشبه : ويكون ذلك عندما تكون صورة المشبه مبهمة غير واضحة فيلجأ المتكلم إلى إثبات هذه الصورة من خلال المشبه به كما في قول الشاعر عنتره⁽¹⁾ :

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

وكقول النابغة الذبياني⁽²⁾:

قامت تراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

فالتشبيه في البيتين السابقين أفاد بيان حال المشبه فالسامع لا يعرف حال الحياة بذل ولا جمال المرأة عندما تراءت من بين شقي الكلة، ولكن تشبيه الأول بجهنم، والثاني بالشمس قد بيّن حالهما لأنه أظهر الحياة الذليلة في صورة جهنم والمرأة في صورة الشمس.

2- بيان مكان حال المشبه: وذلك عندما يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له ، معروف ومسلم به ليثبت في ذهن السامع ويقرر مثل قول الشاعر أبي فراس الحمداني³ :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

وقول المتنبي⁴:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ففي البيت الأول شبه الشاعر نفسه بالبدر والجد بالليلة الظلماء والذكر بالافتقار بياناً لإمكان ذكره، أما المتنبي فيقول أن الذي اعتاد الهوان يسهل عليه تحمله ولا يتألم له، ولبيان إمكان هذا الحال

(1) شرح ديوان عنتره ، ص 87 .

(2) ديوان النابغة الذبياني ، مكتبة الثقافة ، بيروت ، ص 40 .

(3) ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994، ص165

(4) ديوان المتنبي، ج2، ص445

للمشبه فإنه يأتي بمشبه به على شكل صورة يقول فيها أن الميت إذا جرح لا يتألم، وهذه الفائدة تتحقق في الغالب في التشبيه الضمني وذلك لأنه لا يقوم على الطريقة الاعتيادية للتشبيه الذي يكون المشبه والمشبه به واضحين بل يلمح بهما المتكلم ويصل إليهما السامع أو المتلقي من خلال السياق.

3- بيان مقدار حال المشبه من القوة والضعف: ويكون ذلك عندما يكون المشبه معلوماً معروف الصفة التي يراد إثباتها له معرفة إجمالية قبل التشبيه فيأتي التشبيه ليبين مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة كما في قول الأعشى⁽¹⁾:

كأن مشيتها من بيت جارتها مرّ السحاب لا ريث ولا عجل

وقول أبي نواس⁽²⁾ :

سقى الله ظبياً مبدي الغنج في الخطر يميمس كغصن البان من رقّة الخصر
وقول النابغة الذبياني⁽³⁾:

كأن الشذر والياقوت منها على جيداء فاترة البُغام

فالصفة المشتركة بين المشبه والمشبه به في البيت الأول موجودة في الطرفين ولكن وجودها في المشبه به أقوى وبذلك يسهم التشبيه في بيان قوة هذه الصفة في المشبه كذلك الأمر في بيت النابغة فحسن الجيد وطوله متحقق في المشبه وهي المرأة التي يتحدث عنها ويصفها بالغزال ولكن هذه الصفة وهي وجه الشبه أقوى في المشبه به بالغزال ومن هنا جاء التشبيه ليبين قوة هذه الصفة في المشبه ، وفي بيت أبي نواس نجد الصفة المشتركة أو وجه الشبه (الميل) قوية في المشبه به وهو غصن البان ، فجاء الشاعر بالتشبيه لبيان قوتها في المشبه وهو المرأة .

4- تقرير حال المشبه ، وذلك عندما يحتاج المشبه إلى تثبيت وإيضاح فيؤتى بمشبه به حسي قريب التصور يزيد من معنى المشبه إيضاحاً ، لما في المشبه به من قوة الظهور مثل قول الشاعر:

أن القلوب إذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسرّها لا يجبر

ففي هذا البيت تقرير لمعنى المشبه وتثبيت له في النفس وذلك لأن المشبه به حسي والحسي أقوى من الذهني أو المعنوي.

(1) ديوان الأعشى ص 113

(2) ديوان أبي نواس، دار صادر ، بيروت ص 2271 .

(3) ديوان النابغة ص 111 .

5- بيان إمكان وجود المشبه : ويكون ذلك عندما يبدو المشبه غريباً يستبعد حدوثه فيؤتى بالمشبه به ليزيل هذه الغرابة ويؤكد إمكان حصوله مثل قول المتنبي في مدح سيف الدولة الحمداني¹:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

أي أنه لا استغراب في كونك فوق الأنام مع أنك واحد منهم لأن هناك ما يناظر ك وهو المسك فهو بعض دم الغزال وقد فاق سائر الدماء وبذلك أسهم هذا التشبيه في بيان إمكان وجود المشبه⁽²⁾.

6- مدح المشبه وتحسين حاله ترغيباً فيه أو تعظيماً له بتصويره بصورة تثير في النفس الاستحسان فيؤتى بمشبه به استقر في النفس حسنه ليعكس حسن المشبه كما في قول النابغة الذبياني⁽³⁾:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكب

وقول الشاعر⁽⁴⁾

له خال على صفحات خدٍ كنقطة عنبر في صحن مرمر

وألحاظ كأسـياف تنادي على عاصي الهوى الله أكبر

فالمشبه به في البيت الأول وهو مشهور في حسنه جاء به الشاعر كي يعكس حسن المشبه وهو الممدوح وبذلك اكتسب المشبه حسنه من المشبه به وهذا الأمر يتكرر في الشاهد الثاني فلتصوير حسن المشبه ليرغب به السامع .

7- تشويه المشبه وتقبيحه ، تنفيراً منه أو تحقيراً له ، فيؤتى بمشبه به يحمل صورةً تشمنز منها النفس وترفضها مثل قول جرير⁽⁵⁾:

وإذا أشار محدثاً فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقول دعبل الخزاعي يهجو امرأته⁽⁶⁾ :

يا ركبتي خُزر وساق نعامة وزبيل كنّاس ورأس بعير

فصورة المشبه به في البيتين تشمنز لها النفس وهي تشوه صورة المشبه وتقبحها ففي البيت الأول هناك صورتان للمشبه به وهما (قرد يقهقه) و (عجوز تلطم) وكلا الصورتين يثير الاشمئزاز وكذلك الأمر في بيت دعبل فصور المشبه به وهي (ركبتي خزر) و (ساق نعامة) و (زبيل كنّاس) و

¹ ديوان المتنبي ، ج2، ص21

⁽²⁾ جواهر البلاغة ، ص 297 ، وما بعدها .

⁽³⁾ ديوان النابغة الذبياني ص 18 .

⁽⁴⁾ جواهر البلاغة ص 299 .

⁽⁵⁾ ديوان جرير ص 332 .

⁽⁶⁾ شعر دعبل الخزاعي ص 149 .

(رأس بعير) وكل صورة من هذه الصور تمثل مشبه به الذي يتعدد في هذا التشبيه مع بقاء المشبه مفرداً وهو (امرأة الشاعر) فالمشبه به هنا جاء ليقبح المشبه ويشوّهه في نظر المتلقي (1).

وإذا كان بعض البلاغيين المتأخرين يذكر هذه الأغراض والفوائد للتشبيه فإن بعض المتقدمين يختصرها فيقول أن غرض التشبيه قد يكون إلحاق الناقص بالزائد مبالغة في إثبات الحكم للناقص كتشبيه شيء أسود بخافية الغراب، وقد يكون القصد على طريق التخييل أن يوهّم في الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد عليه فيشبه الزائد بالناقص ويقصد تعظيم الناقص كما في التشبيه المعكوس، وقد يكون الغرض الجمع بين الشيئين في مطلق الصورة (2).

بلاغة التشبيه : تأتي بلاغة التشبيه من خلال نقل المتكلم (الشاعر، الكاتب) السامع من صورة المعنى الذي يريد التعبير عنه إلى صورة أخرى تتضح فيها صورة ذلك المعنى بشكل أوضح وأبلغ بحيث تحدث تأثيراً في السامع وتجعله يتحسس جماليات التعبير الذي يتخذ من التشبيه وعاء له. وكلما كان التصوير من خلال صورة غير مألوفة أو معروفة كان تأثيره في النفس أبلغ وأقوى، ولذلك كان التشبيه المرسل والمفصل معاً أي الذي يذكر فيه وجه الشبه وكذلك الأداة يمثل أدنى مراتب التشبيه وذلك لأن المعنى يكون واضحاً فلا ستر بين المعنى وبين السامع ويكاد يكون الأثر البلاغي في هذا التشبيه ضئيلاً إن لم يكن معدوماً، لأن العثر على المشابهة لا يحتاج أي جهد أدبي وكذّ في الذهن.

ولكن عندما يحذف وجه الشبه أو الأداة يرتقي التشبيه مرتبة أعلى وعندما يكون وجه الشبه صورة مركبة حسية كانت أو عقلية بحيث لا يمكن الفصل بين أجزائها فإن ذلك يحتاج إلى تأمل وتعمق في المعنى وكذّ في الذهن وجهد في التأويل من أجل الوصول إلى صورة التشبيه أو وجه الشبه الذي نصل من خلاله إلى الهدف الذي يرنو إليه المتكلم، عند ذلك تأخذ روعة هذا التشبيه.

عقل السامع وتستولي على مشاعره وتجعله يسبح في بحر الخيال بغية الوصول إلى مرفأ المعنى الذي قصده المتكلم ومن ذلك نذكر قول أبي العلاء المعري في وصف النجم (3):

يسرع الملح في احمرار كما تسرّح في الملح مقلة الغضببان

إذ شبه الشاعر لمحات النجم وتألقه مع احمرار ضوئه ولمعانه بسرعة لمحّة الغضببان ، فوجه الشبه هنا لم يكن مفرداً مطلقاً واضحاً للسامع بل كان صورة أو هيئة منتزعة من مجموعة

(1) ينظر جواهر البلاغة ص 298 وما بعدها .

(2) أصول البلاغة، كمال الدين البحراني، تحقيق د/عبد القادر حسين، دار الشروق، القاهرة 1981، ص 63-64.

(3) شروح سقط الزند ج 1 ص 435 .

أشياء لا يمكن الفصل بينها لأن ذلك من شأنه أن يفسد الهدف المرجو من التشبيه وتنبين قدرة الشاعر في الجمع بين هذه الأشياء وجعلها متكاملة مترابطة وتشكل لوحة تتجسد جمالياتها في كونها مجتمعة فضلاً عن أن السامع أو المتلقي لمثل هذه الصور يكون أكثر التصاقاً بالكلام لما فيه من سحر يتأتى من الخيال الذي تسبح فيه مفردات هذا التشبيه، ومن الشواهد الأخرى التي تظهر فيها بلاغة التشبيه بشكل واضح وجلي قول المتنبي⁽¹⁾:

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه

فالشاعر يدعو على نفسه بالفناء إذا هو لم يقف بالأطلال ليذكر عهد من كانوا بها ، ولتصوير هذا المنظر (الوقوف على الأطلال) فإنه يشبهه بوقوف شحيح فقد خاتمه في التراب، فالتشبيه عبر بدقة عن صورة المتحير المحزون الذي يقف على أطلال من أحبه ففارقوه، والتي تتمثل بأطراف الرأس والتنقل من مكان إلى آخر في اضطراب ودهشة، فجاء وجه الشبه في هيئته المركبة والتي لا يمكن الفصل بين أجزائها ليصور بدقة المعنى الذي أراد الشاعر التعبير عنه.

وكما لاحظنا عند عرضنا لأنواع التشبيه المختلفة فإن لكل قسم من أقسامه وظيفته الخاصة التي يتميز بها إضافة إلى وظيفة التشبيه عموماً، ومن خلال هذه الوظيفة يمكن أن نتلمس بلاغة التشبيه عموماً والتي تحدث عنها الجرجاني بشكل مفصل وبين أيضاً أثر هذه البلاغة في نقل المعنى بشكل يكتسب جماليات خاصة فضلاً عن أثرها في نفوس المتلقين الذين يواجهون صوراً مختلفة للمعنى ولكل صورة من هذه الصور سماتها الجمالية وطاقاتها التخيلية.

(1) ديوان المتنبي ج2 ص 299.

المبحث الثاني

المجاز وأقسامه

المجاز لغة :

مشتق من جرت الطريق وجاز الموضع جوازاً، وجاز به، وجاوزه وأجازه وأجاز غيره : سار فيه وسلكه ، وجاوزت الموضع جوازاً بمعنى جرت به . والمجاز والمجازة : الموضع ، والمجاز اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمنام والمزار وغيرهما وحقيقته الانتقال من مكان إلى آخر (1) .

المجاز اصطلاحاً :

هو اللفظ المنقول عن أصله في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة إرادة المعنى الوضعي (2) والقرينة هي الأمر الذي يجعله المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير ما وضع له فهي تصرف الذهن عن المعنى الوضعي، والواضح على هذا المعنى الذي استقر بعد تطور عبر القرون قد أخذ من المعنى اللغوي.

والمجاز هو ضد الحقيقة التي تتمثل في استعمال اللفظ فيما وضع له في اللغة، والمجاز من الفنون البيانية التي تسهم في إيضاح المعنى وتحسينه وجعله أكثر تأثيراً في السامعين ولذلك فقد كثر استخدامه في القرآن الكريم وفي الأدب العربي (الشعر والنثر).

مفهوم المجاز عبر العصور :

تحدث البلاغيون والنقاد اللغويون عن المجاز في كتبهم، ويعد أبو عبيدة صاحب كتاب (مجاز القرآن) أول من استخدم هذا المصطلح ، ولكنه لم يستخدمه بالدلالة الاصطلاحية التي ثبت عليها فيما بعد، بل عالج فيه عملية التوصل لفهم المعاني القرآنية باستخدام أساليب العرب في كلامهم وسننهم في وسائل الإبانة عن المعاني أي أنه استخدمه بدلالة التفسير لا بدلالة ما قسم الحقيقة.

وقد تحدث الجاحظ عن المجاز ومن ذلك تعليقه على قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ سَعِيرًا) (3) إذ يقول إن هذه الآية من باب المجاز والتشبه على شاكلة قوله تعالى: (سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) (4) وقد جاء بآيات أخرى وأبيات من الشعر العربي تجري مجراها وقال عنها فهذا كله مختلف وهو كله مجاز وقال عن المجاز "وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم وبه وبأسبابه اتسعت" (5) ومن خلال هذا الكلام يتضح لنا أن الجاحظ فهم أسلوب المجاز وحدد دلالاته الاصطلاحية، وهذه تعد خطوة في طريق التطور الذي طرأ

(1) لسان العرب مادة جوز

(2) ينظر أسرار البلاغة، 395 .

(3) النساء 10

(4) المائدة 42

(5) ينظر: الحيوان ج5 ص 426

على البلاغة العربية بفنونها المختلفة ، وقد تبع ابن قتيبة الجاحظ في طريق الإضافة والتوسع والاهتمام بهذا المصطلح، فقدم دراسة وافية للمجاز وعقد له باباً واسعاً في كتابه (تأويل مشكل القرآن) توسع فيه بالحديث عن مفهوم المجاز واستشهد عليه بالعديد من الشواهد ووقف عند قضية مهمة تتمثل في طعن البعض بوجود المجاز في القرآن وذلك لأنه كذب فوصفهم بالجهل، وقال (وهذا من أشنع جهالتهم وأدلهما على سوء نظرهم وقله إفهامهم ، ولو كان المجاز كذباً وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً كان أكثر كلامنا فاسداً لأننا نقول (نبت البقل) (وطالت الشجرة) و(أينعت الثمرة) (وأقام الحبل) و (رخص السعر) ⁽¹⁾ وقد تعرض المبرد للمجاز إلا أنه استعمله بالمفهوم الذي استعمله أبو عبيدة وهو التفسير ⁽²⁾ أما ابن جني فقال عنه بأنه ضد الحقيقة التي تمثل ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ⁽³⁾.

ويقف ابن فارس عند المعنى اللغوي للمجاز فهو مأخوذ من جاز يجوز إذا استن ماضياً أي أن الكلام الحقيقي يمضي لسننه لا يعترض عليه ، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه إلا أنه فيه من تشبيه واستعارة وكف ما ليس في الأول ⁽⁴⁾ ، ومن خلال كلامه يتضح أنه فهم المجاز على أنه ضد الحقيقة ، ويرى ابن رشيق أن العرب تكثر من استعمال المجاز وتعدده من مفاخر كلامها فهو دليل الفصاحة ورأس البلاغة، وبه تميزت لغة العرب عن سائر اللغات ثم يذكر كلام ابن قتيبة في هذا المجال فضلاً عن بعض آراء الجاحظ عن أهمية هذا الفن البلاغي ⁽⁵⁾.

أما العلامة عبد القاهر الجرجاني فبعد أن يذكر الدلالة اللغوية للمجاز يقول "أما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز" ⁽⁶⁾ فالجرجاني في كلامه هذا حدد أبعاد مصطلح المجاز وحدوده وقد ذكر بعد ذلك أمثلة على أنواعه وفصل في الحديث عنه ، أما الرازي فإنه يختار تعريف الجرجاني للمجاز فضلاً عن دلالاته اللغوية والعلاقة بين الداليتين اللغوية والاصطلاحية، إلا أنه كان يختصر ما يأخذه من الجرجاني ⁽⁷⁾.

ويرى السكاكي أن المجاز "هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع، ولك أن تقول: المجاز هو الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق استعمالاً في ذلك بالنسبة إلى نوع

⁽¹⁾ ينظر: تأويل مشكل القرآن 97

⁽²⁾ ينظر: الكامل للمبرد ج 1 ص 83

⁽³⁾ ينظر: الخصائص ابن جني ج 2 ص 442

⁽⁴⁾ ينظر: الصاحب في فقه اللغة ابن فارس ص 197

⁽⁵⁾ ينظر: العدة ابن رشيق ج 1 ص 265

⁽⁶⁾ ينظر: أسرار البلاغة ص 304

⁽⁷⁾ ينظر نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ص 46.

حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع" (1)، وهذا التعريف في مبادئه التي يقوم عليها لا يبتعد بل لا يختلف عن تعريف الجرجاني إلا أن السكاكي أكثر تحديداً وتديقاً لما عرف به من إدخال المنطق في بيان حدود المصطلحات، ويرى ابن الأثير أن المجاز هو ما أريد به غير المعنى الموضوع له في اللغة (2)، أما العلوي فالمجاز عنده مشتق من الجواز وهو التعدي كما في قولهم (جزت موضع كذا) إذ تعديته وجاوزته أو مشتق من الجواز الذي هو نقيض الوجوب والامتناع، فاللفظ المستعمل في غير ما وضع له أي في غير موضوعه الأصلي شبيه بالمنتقل فلا جرم أن سمي مجازاً وأحسن ما قيل فيه ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب لعلاقة بين الأول والثاني (3)

ويبقى تعريف الجرجاني هو المهيمن عن معظم التعريفات التي قدمها البلاغيون الذين جاءوا بعده وإن اختلفت صياغتها إذ بقي المضمون نفسه وكذلك الأسس الذي يقوم عليها المجاز (4).

أقسام المجاز:

يعد العلامة عبد القاهر الجرجاني واضع نظريتي علم المعاني وعلم البيان في كتابيه (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) أول من فصل الحديث عن المجاز فاستقرت عنده قواعده، وكذلك هو أول من قسم المجاز إلى لغوي وعقلي وفرق بينهما (5) وقد تبعه البلاغيون بعد ذلك، إذ قسم الرازي المجاز إلى مجاز في الإثبات ومجاز في المثبت وهما العقلي واللغوي وقسمه السكاكي إلى لغوي وهو المجاز في المفرد والعقلي وهو المجاز في الجملة ثم قسم مباحث المجاز إلى خمسة وهي: المجاز اللغوي الراجع إلى معنى الكلمة غير المفيد والمجاز اللغوي الراجع إلى المعنى المفيد الخالي من المبالغة في التشبيه والاستعارة والمجاز اللغوي الراجع إلى حكم الكلمة في الكلام والمجاز العقلي (6) أما القزويني فقد قسم المجاز على مفرد وهو لغوي وشرعي وعرفي مركب وهو التمثيل على سبيل الاستعارة ثم قسمه إلى مرسل واستعارة (7) وتبعه في ذلك شراح التلخيص.

المجاز المرسل :

(1) ينظر مفتاح العلوم ص 170

(2) ينظر المثل السائر ج 1 ص 58 .

(3) ينظر الطراز ج 1 ص 63

(4) ينظر: تحرير التعبير ص 457 والتلخيص ص 292

(5) ينظر أسرار البلاغة ص 333 وما بعدها

(6) ينظر نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز ص 48

(7) ينظر التلخيص ص 393

وهو استعمال اللفظ في معنى غير الذي اصطلح عليه لعلاقة غير المشابهة مع معناه الأصلي، وما استعمل فيه مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي ويعرفه القزويني بقوله "هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيهية⁽¹⁾ وقد سمي بالمرسل لأن الإرسال في اللغة الإطلاق بعكس مجاز الاستعارة المقيد بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به ويقال أنه سمي بالمرسل لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل تردد بين علاقات بخلاف مجاز الاستعارة فإنه بعلاقة واحدة وهي المشابهة وكان السكاكي أول من أطلق اسم المجاز المرسل على هذا النوع من المجاز⁽²⁾ إلا أن القدامى ذكروا أنواعه لكنهم لم يسموه وقد أشار الأمدي إلى بعض علاقاته وهي السببية والمجاورة وغيرها كقولهم للمطر (سماء) في قولهم (ما زلنا نطأ السماء حتى آتيناكم)⁽³⁾ وقولهم للمطر (سحاب) مثل قول معاوية بن مالك⁽⁴⁾:

إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

"إذ أراد الشاعر إذا سقط المطر رعيناه أي رعيانا النبات الذي يكون عنه ولهذا ما سموا النبات ندى، لأنه عن النبات يكون، وقالوا ما به طرقت أي ما به قوة والطرق الشحم فوضعه موضع القوة لأن القوة تكون عنه، وقولهم للمزادة راوية وإنما الراوية: البعير الذي يستقى عليه فسميت الوعاء الذي باسم البعير لأنه يحملها"⁽⁵⁾ ويذكر ابن جني بعض علاقات المجاز المرسل مثل قول الشاعر⁽⁶⁾:

ذر الآكلين الماء ظلما فما أرى ينالون خيرا بعد أكلهم الماء

إذا يقول عن هذا البيت فكأنه منه باب الاكتفاء بالسبب عن المسبب، يريد قوما كانوا يبيعون الماء فيشترون بثمنه ما يأكلونه فاكتمى بذكر الماء الذي هو سبب المأكول من ذكر المأكول⁽⁷⁾. ويشير ابن الأثير إلى أن أنواع المجاز ترجع إلى التوسع والتشبيه والاستعارة⁽⁸⁾ وكان العلامة عبد القاهر الجرجاني قد تحدث عن هذا النوع من المجاز إلا أنه لم يسمه مرسلًا بل لغويا يقرن بالاستعارة وإن كانت علاقته غير المشابهة ويميزه عن الاستعارة من خلال قوله "وأما لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه"⁽⁹⁾ وقد تبع السكاكي في تسمية لهذا النوع بالمرسل القزويني

(1) التلخيص ص 295

(2) مفتاح العلوم 195 .

(3) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحري الأمدي، تحقيق حمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ص 35

(4) المفضليات، المفضل الضبي، ص 359

(5) الموازنة، الأمدي، ص 35

(6) الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط 4، ج 1، ص 179

(7) الخصائص ج 1 ص 152

(8) المثل السائر ج 1 ص 368 وما بعدها

(9) أسرار البلاغة ص 262 وما بعدها

و شراح التلخيص⁽¹⁾ وتوسع والعلوي والزركشي في بحث هذا النوع وجمعوا له علاقات كثيرة⁽²⁾.

علاقات المجاز بالمرسل :

من المعروف أن علاقات المجاز المرسل كثيرة وقد ذكر الخطيب القزويني منها ثماني علاقات³ وذكر ابن الأثير منها أربع عشرة علاقة⁽⁴⁾، وأوصلها الزركشي إلى ست وعشرين علاقة رئيسية ثم ألحق بها خمس علاقات لتصبح جملة العلاقات عنده إحدى وثلاثين علاقة⁽⁵⁾ وهذه العلاقات لا تتضمن المشابهة التي تنقل المجاز المرسل إلى مجاز الاستعارة ولأن هذه العلاقات كثيرة ومتداخلة ومتشعبة فإننا سوف نقف عند أبرز هذه العلاقات من خلال تحليل شواهدا التي ذكرها البلاغيون من قبل.

1-علاقة السببية : - أي التعبير عن المسبب بالسبب وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة سببا في المعنى المجازي إي ذكر لفظ السبب وأريد منه المسبب مثل قولهم ، رعينا العيث ، فالغيث سبب أطلق على مسببه (النبات) فهو مجاز مرسل علاقته السببية وقرينته التي تمنع إيراد المعنى الوضعي هي الفعل رعينا ومن شواهد هذه العلاقة قوله تعالى (فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ)⁽⁶⁾ إذ أطلق على رد الاعتداء اسم الاعتداء نفسه وهو السبب وأريد به المسبب ، وكذلك قوله تعالى: (وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ)⁽⁷⁾ إذ أطلق لفظ (نبلو) وأراد منه ونعرف : فذكر السبب وأراد المسبب ، ومن الشواهد الشعرية على هذه العلاقة.

قول عمرو بن كلثوم⁸:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقول المتنبي⁽⁹⁾:

له أياد اليّ سابقة أعد منها ولا أعددها

وقول معاوية بن مالك¹⁰:

إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

¹ ينظر التلخيص 295 شروح التلخيص ج 4 ص 29

² ينظر: الطراز، العلوي، ج 1 ص 96 وما بعدها، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج 2 ص 25 وما بعدها

³ ينظر التلخيص ص 294 وما بعدها

⁴ ينظر: المثل السائر ج 2 ص 882

⁵ ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج 2 ص 259

⁶ البقرة ص 194

⁷ محمد 31

⁸ ديوان عمرو بن كلثوم، ت أيمن ميدان، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط 1، 1992، ص 330

⁹ ديوان المتنبي، ج 1، ص 281 .

¹⁰ المفضليات، المفضل الضبي، ص 359

ففي البيت الأول قيل أن الجهل الأول حقيقي، والثاني مجاز مرسل علاقته السببية إذ أطلق الرد على الجهل ،لفظ الجهل وبذلك يكون قد أطلق السبب على المسبب وقد تكون العلاقة مشاكلة من خلال ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً ، أما البيت الثاني ففي كلمة (أياد) مجاز مرسل علاقته السببية لأن الأيدي الحقيقية هي التي تمنح النعم فهي السبب والشاعر هنا قصد النعم نفسها أي المسبب فذكر السبب وأراد المسبب أما القرينة فهي قوله (علي سابعة أعد منها ولا أعددها) **2-علاقة المسببية:** وهي أن يكون المنقول عنه مسبباً ، وأثراً لشيء آخر .. وذلك فيما إذا ذكر لفظ المسبب وأريد منه السبب ، أي بإطلاق اسم المسبب على السبب كقولهم أمطرت السماء نباتاً ، فالنبات سبب عن المطر ، والمراد أمطرت السماء مطراً يتسبب عنه النبات فأطلق اسم المسبب (النبات) وأراد منه السبب (المطر) ومن شواهد هذه العلاقة قوله تعالى (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا)⁽¹⁾ وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا)⁽²⁾ وقوله تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)⁽³⁾ وقوله تعالى (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ)⁽⁴⁾ وقوله تعالى (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ)⁽⁵⁾.

ففي الآية الأولى ذكر المسبب وهو الرزق وأراد السبب وهو المطر وقرينة ذلك قوله: (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) وبذلك تتضمن كلمة (رزق) مجازاً مرسلًا علاقته المسببية، أما في الآية الثانية فقد أطلق المسبب (النار) وأراد به السبب وهو المال الحرام، والقرينة المانعة فهي قوله تعالى (يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) فتكون علاقة المجاز هنا المسببية، وفي الآية الثالثة ذكر القراءة وأراد الإرادة والقراءة مسببة عن الإرادة وهي السبب بقرينة الفاء في قوله (فاستعذ) لأنها للترتيب والتعقيب فيكون بذلك مجازاً علاقته المسببية، وفي الآية الرابعة، ذكر المناداة وهو المسبب وقصد الإرادة وهو السبب والتقدير أراد أن ينادي من قبيل المجاز المرسل بعلاقة المسببية ، أما في الآية الخامسة والأخيرة فقد ذكر الهلاك (أهلكناها) وأراد الإرادة أي أردنا إهلاكها والقرينة (فجاءها بأسنا) وهو يأتي من قبل إهلاكها لا بعده، فذكر هنا المسبب وأراد السبب فتكون علاقة المجاز هنا مسببية .

¹ غافر 13

² النساء 10

³ النحل 98

⁴ هود 45

⁵ الأعراف 4

3- **علاقة الكلية :** وهي كون الشيء متضمناً للمقصود ولغيره، فيذكر فيها لفظ الكل ويراد به الجزء ، تتحقق هذه العلاقة باستعمال الكل في جزئه ، والكل ما له أجزاء وهو غير الكل الذي له جزئيات ومن المعلوم أن استعمال الكلي مراد به الجزئي من قبيل الحقيقة لا المجاز كقولنا : جاءني إنسان تريد زيدا مثلاً ، وذلك لأن معنى الكلي يتحقق كاملاً في جزء من جزئياته ، وليس الأمر كذلك بين الجزء وكله ، كالأنملة والإصبع ، فالجزء (الأنملة) ليس مفيداً معنى الكل على سبيل الحقيقة ، وإنما يفيد على سبيل المجاز ومن ذلك قوله تعالى (**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**)⁽¹⁾، وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام " وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً " .⁽²⁾ فالأصابع في الآيتين أطلقنا وأريد بها (أطراف أناملها) على سبيل المجاز المرسل بعلاقته الكلية، ومن الشواهد الأخرى قوله تعالى (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا**)⁽³⁾ إذ أطلقت الأيدي كاملة وأريد بعضها أي إلى الرسغ وهو مجاز مرسل علاقته الكلية لأنه أطلق الكل وأراد به الجزء وكذلك قول السموأل بن عدياء⁴ :

تسيل على حد الطبات نفوسنا وليست على غير الطبات تسيل

فالتي تسيل هي الدماء وليست النفوس والدماء جزء من النفوس ولذلك فهو مجاز مرسل علاقته الكلية لإطلاقه الكل على الجزء .

4 - **العلاقة الجزئية :** وهي كون المذكور ضمن شيء آخر، أي التعبير عن الكل بالجزء وهي عكس العلاقة الكلية، ويكون فيها المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة جزءاً من المعنى المجازي لها ، كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) فالمجاز في كلمة (قام) إذ ذكر الجزء وهو القيام وأراد الكل وهو الصلاة وبذلك تكون العلاقة جزئية ، ومن شواهد هذه العلاقة الأخرى قوله تعالى (**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**)⁽⁵⁾ وقوله تعالى: (**يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**)⁽⁶⁾ فقد أطلقت الأفواه والصدور وأريد منهما بعضهما (الألسن والقلوب) على سبيل المجاز المرسل الذي تكون علاقته الجزئية وقد تكون العلاقة محلية

¹ البقرة 19

² نوح 7

³ المائدة 38

⁴ ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار بيروت، بيروت، 1982، ص

⁵ آل عمران 188

⁶ آل عمران 167

باعتبار أن الأفواه والصدور أسماء محال فذكرهما وأراد منها الحالية وهما (الألسن والقلوب)، ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى: (فتحرير رقبة مؤمنة)⁽¹⁾ أي عبد مؤمن والقرينة فتحرير فذكر الجزء وهو الرقبة، وأراد الكل وهو (العبد المؤمن) فتكون علاقة المجاز المرسل هنا جزئية، ومن الشواهد الشعرية على هذه العلاقة قول المتنبي:

كم بعثنا الجيش جراً راً وأرسلنا العيوناً

وقو معن بن أوس المزني : (2)

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فكلما قال قافية هجاني

ففي البيت الأول يريد الشاعر أرسلنا الجواسيس فذكر العيون وهي جزء وأراد الكل وهم الجواسيس فتكون علاقة المجاز المرسل جزئية والقرينة هي (أرسلنا)، أما في البيتين الآخرين فالمجاز موجود في كلمتي (القوافي) و(قافية) وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية إذ ذكر الجزء وهو القافية وأراد الكل وهو القصيدة والقرينة هي (علمته نظم القوافي)

5-علاقة المحلية : أي التعبير بالمحل عن الحاليين فيه وذلك إذا كان المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة محلاً للمعنى المجازي لها ، أي بإطلاق اسم المحل على الحال فيه، ومن ذلك قوله تعالى (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) (3) فالنادي اسم مكان وهو المكان الذي يجتمع فيه القوم وقد أطلق هنا وأريد به الحال فيه ، فأطلق المحل وأراد الحال على سبيل المجاز المرسل بعلاقته المحلية والقرينة (فليدع) لأن النادي لا يدعى حقيقة ، وكذلك قوله تعالى (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) (4) أي أهل القرية وأصحاب العير والقرينة (واسأل) فالقرية لا تسأل حقيقة وكذلك العير فذكر المحل (القرية) وأراد الحال (أهل القرية) على سبيل المجاز المرسل بعلاقته المحلية ولا مانع أن يكون ما في الآيتين السابقتين من قبل الإيجاز بحذف المضاف فيكون المراد أهل النادي وأهل القرية ، ومن الشواهد الأخرى على هذه العلاقة قول المهلهل يرثي أخاه: (5)

¹ النساء 92

² ديوان معن بن أوس المزني، طبعة لندن 1903، ص34

³ العلق 17

⁴ يوسف 82

⁵ ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح، طلال حرب، دارالعالمية، ص44

نبئت أن النار بعدك أوقدت واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

وقول الإمام علي(عليه السلام)¹ :

إن الحقود وإن تقادم عهده فالحقد باق في الصدور مغيب

ففي البيت الأول المجاز في كلمة (المجلس) وهو اسم مكان ذكره الشاعر وأراد به الحال فيه وهو مجاز مرسل علاقته المحلية لأنه ذكر المحل وأراد الحال ، أما في البيت الثاني فالمجاز في كلمة (الصدور) وهي اسم محل ذكره الشاعر وأراد الحال فيه وهو القلب فذكر المحل وأراد الحال على سبيل المجاز المرسل بعلاقته المحلية.

6- **علاقة الحالية:** وهي التعبير عن المكان بالحالين فيه وهي عكس علاقة المحلية وتتحقق هذه العلاقة عندما يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة حالاً في المعنى المجازي لها، ويكون ذلك بإطلاق اسم الحال في المكان على محله ومن ذلك قوله تعالى (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)⁽²⁾ فالمراد بالرحمة الجنة التي تحل فيها الرحمة ، فهم في جنة تحل فيها رحمة الله فذكر الحال وهو (الرحمة) وأراد المحل وهو (الجنة) على سبيل المجاز بعلاقته الحالية ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) (وَأَنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ)⁽³⁾ إذ يذكر الله عز وجل الحال وهو (نعيم) (وجحيم) ويريد المحل وهو (الجنة) (وجهنم) على سبيل المجاز المرسل بعلاقته الحالية ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)⁽⁴⁾ أي خذوا ثيابكم الجميلة فزينتكم مجاز مرسل علاقته الحالية لأن الزينة حالة في الثياب وبادية من خلالها والقرينة (خذوا) فالزينة وهي أمر معنوي لا تؤخذ حقيقة ومن شواهد الشعر على ذلك قول حمدونة الاندلسية:⁽⁵⁾

نزلنا دوحة فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

فالمجاز في كلمة (الدوحة) وهو مرسل علاقته الحالية لأن الشاعر أطلق الحال وهو الدوحة وأراد المحل وهو الوادي الذي يتخلله الدوح فيظله ويرطبه ومن ذلك أيضاً قول الحسين بن مطير الأسدي⁽⁶⁾:

¹ ديوان الإمام علي(عليه السلام)، جمع عبد العزيز الكرم، ط1، 1988،

² آل عمران 107

³ الانفطار 13 ، 14

⁴ الأعراف 31

⁵ نزهة الجلساء في أشعار النساء، السيوطي، مكتبة القرآن، القاهرة، 1986، ص47

⁶ الحماسة البصرية ، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، ت عادل سليمان ، مطبعة الخانجي ، القاهرة، ط1، 1999، ج2، ص621

أَلَمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقَوْلًا لِقَبْرِهِ سَقَّتْكَ الْغَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا

فيا قبر معن كيف وارىت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
فقد سمى الشاعر المحل (قبر معن) باسم الحال فيه (معن) على سبيل المجاز المرسل بعلاقته
الحالية إذ ذكر الحال وأراد المحل ويمكن عد هذا من قبيل الإيجاز بالحذف من خلال حذف المضاف
إي (قبر معن).

7- علاقة البدلية: وهي كون الشيء بدلاً عن شيء آخر، أي التعبير بالبدل عن المبدل عنه وذلك حين
يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة بدلاً من المعنى المجازي لها، ومثال ذلك قوله
تعالى (فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ) ⁽¹⁾ يريد فإذا أديتم الصلاة لكنه سبحانه وتعالى عبر عن
الأداء بالقضاء أي عبر بالبدل عن المبدل منه، فيكون في هذا الاستعمال مجاز مرسل علاقته
البدلية.

8- علاقة المبدلية: وهي كون الشيء مبدلاً منه شيء آخر، أي التعبير بالمبدل منه عن المبدل وهي
عكس علاقة البدلية، وذلك يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مبدلاً منه للمعنى
المجازي لها كالتعبير بالدم عن الدية في قول الشاعر ²:

أَكَلْتُ دَمًا لَمْ أَرَعْكَ بِضْرَةَ بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقَرْطِ طَبِيبَةَ النَّشْرِ

فالشاعر يقصد "أكلت دية" ففي (دما) مجاز مرسل علاقته المبدلية لأن الدم مبدل من الدية
والدية بدل من الدم والقرينة "أكلت" فالدم بمعناه الحقيقي لا يؤكل، فالشاعر ذكر هنا المبدل منه
وأراد منه البديل.

9- علاقة الآلية: وهي التعبير بالآلة عن أثرها وما تقوم به، وذلك حيث يكون المعنى الحقيقي
للكلمة المذكورة في العبارة وسيلة دالة للمعنى المجازي لها، وهي كون الشيء واسطة لإيصال
أثر الشيء إلى آخر، وتحقق بتسمية الشيء باسم آله كما في قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ
إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) ⁽³⁾ وقوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) ⁽⁴⁾ ففي الآية الأولى ذكر
اللسان وهو الآلة وأريد به اللغة على سبيل المجاز المرسل بعلاقته الآلية وفي الآية الثانية ذكر
اللسان وهو الآلة وأريد به الذكر الحسن والثناء الجميل وهو أيضاً مجاز مرسل علاقته الآلية.

¹ النساء 103

² ديوان الحماسة، ج 2، 415

³ إبراهيم 4

⁴ الشعراء 84

وللتفريق بين العلاقة السببية والآلية نجد أن لا سبيل لفعل الشيء دون آلهة أما بالنسبة لذكر السبب في العلاقة السببية فإنه - أي السبب - لا يكون آلة لأنه قد يكون أكثر من سبب لتحقيق الشيء فالنبات قد يكون بالمطر أو بما يسقى ، ولذلك قد تكون الآلة سبباً ولكن لا يمكن أن يكون السبب آلة ومن هنا يمكن أن تكون العلاقة الآلية سببية ولكن لا يمكن أن تكون السببية آلية.

10-علاقة اعتبار ما كان: وهو النظر الى الماضي اي تسمية الشيء بما كان عليه، أو التعبير بما كان عما هو كائن ، وذلك حين يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة ماضياً بالنسبة للمعنى المجازي لها مثل قوله تعالى (وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ)⁽¹⁾ فالله عز وجل قصد الذين كانوا يتامى من قبل ، لأن اليتيم هو من مات أبوه وتركه دون سن البلوغ ، والله عز وجل لا يأمر بإيتاء الأطفال أموالهم بل بإعطائها لهم بعد أن يصلوا إلى سن البلوغ لأنهم كانوا يتامى، فيكون هذا التعبير مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، والقرينة: أمر الله تعالى بتلسيمهم أموالهم ، إذ لا يكون ذلك إلا بعد بلوغهم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا)⁽²⁾ إذ سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه في الدنيا من الإجمام على سبيل المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما كان .

11- علاقة اعتبار ما سيكون: ويتحقق المجاز بعلاقة اعتبار ما يكون بأن تسمى الشيء باسم ما يؤول إليه، وذلك إذا كان المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة أنياً حاضراً وكان المعنى المجازي هو المستقبل مثل قوله تعالى (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا)⁽³⁾ فالمجاز في كلمة (خمر) التي قصد بها العنب والعلاقة هي اعتبار ما يكون فأصل الخمرة عنب ، والقرينة في هذه العلاقة، (أعصر) فالخمرة لا تعصر ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا)⁽⁴⁾ فأطلق على المولود الفاجر الكافر وأريد به الرجل الفاجر الكفار والقرينة (لا يلد) فالطفل حين يولد يكون طاهراً لا كافراً فالمجاز هنا مرسل وعلاقته اعتبار ما يكون ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى (فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)⁽⁵⁾ فوصف الغلام بالحليم وهو لا يكون كذلك إلا بعد أن يكبر فوصف الغلام بالحلم على اعتبار ما يكون عليه فيما بعد على سبيل المجاز المرسل والقرينة هي قوله (بغلام) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)⁽⁶⁾ فالمجاز في

⁽¹⁾ النساء 2

⁽²⁾ طه 74

⁽³⁾ يوسف 36

⁽⁴⁾ نوح 27

⁽⁵⁾ الصافات 101

⁽⁶⁾ الزمر 30

كلمتي ميت و(ميتون) إذا أراد بها (إنك ستموت) و (إنهم سيموتون) فكل من (ميت) و (ميتون)، مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيكون والقرينة هي سياق الآية والمتمثل بخطاب الله عز وجل لهم.

12- العلاقة اللازمة: وهي كون الشيء يجب وجوده عند وجود شيء آخر أي التعبير باللازم عن الملزوم وذلك عندما يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة لازماً للمعنى المجازي لها⁽¹⁾ فنقول طلع الضوء أي الشمس ففي الضوء مجاز مرسل علاقته اللازمة لأنه لازم الشمس والقرينة ، بزغ لأن البزوغ ليس وصفاً حقيقياً للضوء بل للشمس.

13- العلاقة الملزومية: وهي كون الشيء يجب عند وجد وجود شيء آخر ، أي التعبير بالملزوم عن اللازم وهي عكس علاقة اللازمة ، وذلك عندما يكون المعنى الحقيقي للكلمة في العبارة ملزوماً للمعنى المجازي لها فنقول ملأت الشمس المكان أي الضوء فالشمس مجاز مرسل علاقته الملزومية لأنها متى وجدت وجد الضوء ولأن الشمس ملزوم للضوء والقرينة(ملأت).

14- علاقة المجاورة: وهي كون الشيء مجاوراً لشيء آخر أي التعبير بالمجاور عما جاوره، وذلك عندما يكون المعنى الحقيقي للكلمة المذكورة في العبارة مجاوراً للمعنى المجازي لها، ومثال هذه العلاقة قول عنتره⁽²⁾.

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

فالمجاز في كلمة (ثيابه) فقد أراد الشاعر منها جسمه والثياب مجاورة للجسم وبذلك يكون استخدام هذه الكلمة على سبيل المجاز المرسل بعلاقة المجاورة والقرينة هنا (شككت) فالشك لا يكون للثياب بل للأجسام.

15- علاقة الضدية: وهي إطلاق اسم أحد المتقابلين على الآخر كتسمية اللديغ سليماً والصحراء المهلكة مفازة، وكذلك الأعمى بالبصير.

16- مجاز التعرية: ويتحقق بإطلاق المعروف وإرادة النكرة والعكس مثل قوله تعالى: (وَادْخُلُوا **الْبَابَ سُجَّدًا**)⁽³⁾ فالمراد باب من الأبواب ، وقد تكون الألف واللام للعهد، فيكون معرفاً لفظاً

¹ المصطلحات البلاغية ص 81

² شرح ديوان عنتره ص 45

³ البقرة 58.

ومعنى، ومن ذلك قوله تعالى: (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ)⁽¹⁾، إذ أطلق النكرة وأراد المعرفة فالمراد علمت نفس أي كل نفس.

17- **علاقة العموم:** وهي كون الشيء شاملاً لكثير مثل قوله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)⁽²⁾ فالناس مجاز مرسل علاقته العموم لأن المقصود بالناس النبي صلى الله عليه وسلم فذكر العام وأراد الخاص ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)⁽³⁾ فالمراد بالناس هنا واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي⁽⁴⁾.

18- **الخصوص:** وهذه العلاقة تأتي من كون اللفظ خاصا بشيء واحد كإطلاق اسم شخص على القبيلة مثل تميم وبكر وتغلب وعامر .

19- **علاقة التعلق الاشتقاقي:** وهي إقامة صيغة مقام صيغة أخرى ومن ذلك. أ-إطلاق المصدر على اسم المفعول كما في قوله تعالى (صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)⁽⁵⁾ أي مصنوعة وقوله تعالى (ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ)⁽⁶⁾ أي المعلوم.

ب- إطلاق اسم الفاعل على المصدر كما في قوله تعالى (لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةً)⁽⁷⁾ أي تكذب ج- إطلاق المصدر على وزن فعول مثل قوله تعالى (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)⁽⁸⁾ أي شكرا.

د- إطلاق اسم المفعول على المصدر مثل قوله تعالى (بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونُ)⁽⁹⁾ أي الفتنة. هـ- إطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول مثل قوله تعالى (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)⁽¹⁰⁾ أي لا معصوم.

و - إطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل مثل قوله تعالى (حِجَابًا مَسْتُورًا)⁽¹¹⁾ أي ساترا ي - إطلاق المصدر على الشيء مثل قوله تعالى (فَأِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ)⁽¹⁾ أي عداوة .

1 الانفطار 5 .

2 النساء 54 .

3 آل عمران 173 .

4 جواهر البلاغة 322 وما بعدها .

5 النمل 88 .

6 النجم 30 .

7 الواقعة 2 .

8 الإنسان 9 .

9 القلم 6 .

10 هود 43 .

11 الإسراء 45 .

المجاز العقلي :

وهو المجاز الذي يكون في الإسناد والتركيب ، وقد سمي بالمجاز الاسنادي أيضا، لأنه ناتج عن الإسناد (2) ، وفي هذا النوع من المجاز تستعمل الألفاظ المفردة في موضوعها الأصلي، ويكون المجاز عن طريق الإسناد ، وقد ذكر علماء اللغة والنحو والبلاغة هذا النوع، وأشاروا إلى اسميه (العقلي والإسنادي) ، إذ يذكر المبرد أمثلة على هذا النوع من المجاز، مثل قول جرير³:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم

وقول رؤبة بن العجاج⁴ :

حارث قد فرجت عني غمي فنام ليلى وتجلّى همي

فالمجاز العقلي في هذين البيتين يأتي من خلال إسناد النوم إلى الليل في بيت جرير و بيت رؤبة إلا أن المبرد يذهب إلى أن هذا الأسلوب من قبيل المبالغة إلى جانب السعة والحذف (5) ويسمي ابن فارس هذا النوع من المجاز بإضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل له في الحقيقة (6)

ويعد العلامة عبد القاهر الجرجاني أول من فصل بين المجاز اللغوي والعقلي وحدد المجاز العقلي بقوله " وحده أن كل كلمة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه في الفعل لضرب من التأويل فهو مجاز " (7) وسماه مجازا عقليا وحكميا ومجازا في الإثبات وإسنادا مجازيا ويسميه السكاكي بالعقلي (8) وتابعه في هذه التسميات القزويني وشرح تلخيصه (9) وعلل علماء البلاغة المتأخرون هذه التسميات، فقال أحدهم ومن الإسناد مطلقا مجاز عقلي لأن حصوله في إثبات أحد الطرفين للآخر ولسلب حقيقته ومجازه تابع لما يحقق في الإثبات ويسمى أيضا إسنادا مجازيا نسبة إلى المجاز بمعنى المصدر لأي إسناد جاوز به المتكلم حقيقته وأصله إلى غير ذلك (10) ويسميه السيوطي المجاز بالتركيب (11).

وقد تحدث العلوي عن جهد الجرجاني في دراسة هذا النوع من المجاز وتحديد أبعاده وطبيعة تركيبه فقال " اعلم أن ما ذكرناه في المجاز الإسنادي العقلي هو ما قرره الشيخ النحرير عبد القاهر

1 الشعراء 77

2 الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج2 ص32

3 ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، ت نعمان محمد امين، دار المعارف، القاهرة، ط3، ج2، 993

4 مجموع اشعار العرب مشتمل على ديوان رؤبة، دار ابن قتيبة، الكويت، ص142

5 الكامل في اللغة ، المبرد ج1 ص118

6 الصاحبى في فقه اللغة ص 210

7 أسرار البلاغة ص 339

8 مفتاح العلوم 185

9 التلخيص ص 45

10 مواهب المفتاح ج2 ص 231

11 الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج2 ص36

الجرجاني واستخرجه بفكرته الصافية وتابعه على ذلك الجهابذة من أهل هذه الصناعة كالزمخشري وابن الخطيب والرازي⁽¹⁾ وكان الجرجاني قد تحدث بإسهاب وتفصيل عن المجاز العقلي في كتابيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) وأكد في هذا الحديث أن في الكلام مجازاً يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة وتكون الكلمة متروكة عن ظاهرها ويكون معناها مقصوداً في نفسه ومراداً من غير تورية وتعريف كقولهم (نهارك صائم) و(ليلك قائم) و(نام ليلي وتجلي همي) وقوله تعالى (فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ)⁽²⁾ وقول الفرزدق :⁽³⁾

سقاها خروق في المسامع لم تكن علاطاً ولا مخبوضة في الملاغم

فيحلل الجرجاني هذه الشواهد ليوضح مفهوم المجاز العقلي فيقول " أنت ترى مجازاً في هذا كله ولكن لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ ، ولكن في أحكام أجريت عليها . أفلا ترى أنك لم تتجوز في قولك (نهارك صائم) و (ليلك قائم) في نفس صائم وقائم ولكن في أن أجريتهما خبرين على النهار والليل وكذلك ليس المجاز في الآية في (ربحت) ولكن في إسنادها إلى التجارة ، وهكذا الحكم في (سقاها خروق) ليس التجوز في سقاها ولكن في إسنادها إلى الخروق أفلا ترى أنك لا ترى شيئاً منها إلا وقد أريد به معناه الذي وضع له على وجهه وحقيقته فلم يرد بـ (صائم) غير الصوم ولا بـ (قائم) غير القيام ولا بـ (ربحت) غير الربح ولا بـ(سقت) غير السقي كما أريد في قول الشاعر وسالت بأعناق المطي الأباطح (غير السيل)⁽⁴⁾ .

وليس بواجب في المجاز العقلي أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذا نحن نقلنا الفعل إليه عدنا به إلى الحقيقة مثل أن نقول في (ربحت تجارتهم) ربحوا في تجارتهم ، ونحن لا نستطيع أن نثبت للفعل فاعلاً غير المثبت في التركيب كما في قول محمد اليزيدي⁵ :

وصيرني هواك وبي لحييني يضرب المثل

وقول أبي نؤاس⁶ :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

إذ لا يمكن أن نزع أن لـ (صيرني) فاعلاً قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما في (ربحت تجارتهم) ولا نستطيع كذلك أن نقدر لـ (يزيد) في (يزيدك وجهه) فاعلاً غير الوجه .⁽¹⁾

¹ الطراز ، العلوي ، ج3 ص257

² البقرة 16

³ ديوان الفرزدق ص 322.

⁴ أسرار البلاغة ص 52

⁵ الأغاني ، الأصفهاني ، ج19 ، ص377

⁶ ديوان أبي نؤاس 340

وأخذ الزمخشري آراء الجرجاني وطبقها في تفسيره (2) وسار عليها الرازي (3) أما السكاكي فيرى أن المجاز العقلي "هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل وإفادة للخلاف لا بوساطة وضع" (4) وقد ضمه فيما بعد إلى الاستعارة والكناية وقد تابعه في ذلك العلوي إذ يقول "والمختار عندنا أن المجاز لا مدخل له في الأحكام العقلية ولا وجه تسمية المجاز بكونه عقلياً ، لأن ما هذا حاله إنما يتعلق بالأوضاع اللغوية دون الأحكام العقلية" (5)

ويعدده القزويني مجازاً بالإسناد وأخرجه من علم البيان وأدخله في علم المعاني وقال (إننا لم نورد الكلام في الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان كما فعل السكاكي ومن تبعه لدخوله في تعريف علم المعاني دون تعريف علم البيان ، (6) وتابعه في ذلك شراح التلخيص (7) .

أقسام المجاز بالنسبة لطرفيه :

ويقسم المجاز العقلي بالنسبة لطبيعة طرفيه من حيث كونها حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين أي ثلاثة أقسام:

1- المجاز الذي يكون طرفاه حقيقيين مثل قوله تعالى (وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (8) وقوله تعالى (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) (9) .

2- ما كان طرفاه مجازيين مثل قوله تعالى (فَمَا رِبْحَتْ تِجَارَتُهُمْ) (10)

3- ما كان طرفاه مختلفين أي أحدهما حقيقي والآخر مجازي مثل قوله تعالى (تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) (11)

علاقات المجاز العقلي :

المراد بالعلاقة الصلة بين المسند والمسند إليه المجازي ، وهذه العلاقة تستند إلى حدوث الفعل من المسند إليه كما في الفاعل ، أو من حيث وقوعه عليه كما في المفعول ، أو كونه جزءاً من مفهومه كما في المصدر أو ظرفاً كما في ظرف الزمان أو المكان ، أو من حيث كونه سبباً فيه

1 (ديوان أبي نواس ص 59)
2 (ينظر تفسير الكشاف للزمخشري ج 1 ص 123 وما بعدها)
3 (نهاية الإيجاز في دراية الاعجاز 91 .)
4 (مفتاح العلوم 175)
5 (الطراز العلوي ج 1 ص 76)
6 (التلخيص ص 45)
7 (شروح التلخيص ج 1 ص 231)
8 (الأنفال 3)
9 (الزلزلة 2)
10 (البقرة 16 .)
11 (إبراهيم 25)

وإضافةً لهذه العلاقة فإن المجاز العقلي يتطلب قرينة تدل على أن في هذا الإسناد مجازاً ، ومن هذه العلاقات :

1-الزمانية : ويكون فيها الإسناد إلى الزمان مثل قوله تعالى (وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى) (1) إذا أسند الفعل (سَجَى) لليل وهو ليس فاعله الحقيقي وكذلك قوله تعالى (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) (2) إذا أسند الفعل (جعل) إلى اليوم على سبيل المجاز العقلي لأنه وقع في الإسناد والعلاقة بين المسند والمسند إليه زمانية فالمسند الحقيقي هو الله عز وجل ومن الشواهد الشعرية على هذه العلاقة قول طرفة بن العبد (3)

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
وقول جرير (4)

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى
وقول أبي البقاء الرندي (5):

هي الأمور كما شاهدها دول
وقول المتنبي (6):

ويوماً يغىظ الحاسدين وحالة
أقيم الشقا فيها مقام التنعم

وقول أبي تمام : (7)

أي عين ووادي نسيب
لحبته الأيام في ملحوب

ففي بيت طرفة المجاز العقلي في إسناد الفعل "تبدي " للأيام والعلاقة هي زمانية وذلك لأن الأيام ليست الفاعل الحقيقي بل زمنه ، وفي بيت جرير المجاز في إسناد " نائم " إلى الليل وهو عقلي لأنه في الإسناد وعلاقته زمانية لأن الليل ليس الفاعل الحقيقي بل زمنه ، وفي بيت الرندي يتجسد المجاز العقلي في إسناد الفعلين "سر" و "ساء" إلى الزمن والعلاقة زمانية لأن الزمن ليس الفاعل الحقيقي بل زمنه ، وفي بيت المتنبي يأتي المجاز العقلي من إسناد الفعل "يغىظ" لليوم وهو ليس

1 الضحى 2

2 المزمّل 17

3 ديوان طرفة بن العبد ص 25

4 ديوان جرير ص 215

5 ديوان أبي البقاء الرندي، ت ،حياة قادرة،مركز البابطين ،الكويت ،ص13

6 ديوان المتنبي ج 2 ، ص 485

7 ديوان أبي تمام ج 1 ص 45

الفاعل الحقيقي بل زمنه ، وفي بيت أبي تمام نجد المجاز العقلي بعلاقته الزمانية في إسناد الفعل لحب إلى الأيام وهي ليست الفاعل الحقيقي بل زمنه، ومن الشواهد الأخرى على هذه العلاقة قول رؤبة بن العجاج¹:

حارث قد فرجت عن همي فنام ليلي وتجلّى غمي

وقول جرير⁽²⁾

وأعور من نبهان أما نهاره فأعمى وأما ليله فبصير

فالمجاز العقلي في البيت الأول يأتي من إسناد الفعل " نام " لليل وهو ليس الفاعل الحقيقي بل زمنه أما في بيت جرير فيأتي المجاز من إسناد العمى إلى النهار والبصر إلى الليل وهما ليسا الفاعلين الحقيقيين بل زمنهما فتكون العلاقة زمانية ، ومن الشواهد أيضاً قول دعلج الخزاعي⁽³⁾

أخنى الزمان على أهلي فصدّعهم تصدع القعب لاقى صدمة الحجر

2-المكانية : ويكون فيها الإسناد إلى المكان مثل قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ)⁴ فالمجاز العقلي في إسناد الفعل " تجري " إلى الأنهار وهي ليست الفاعل الحقيقي ، ومن الشواهد الشعرية على هذه العلاقة قول المتنبي⁽⁵⁾

وكل امرئ يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وقول حيص بيص⁶:

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم ابطح

ففي البيت الأول يسند المتنبي الفعل (ينبت) إلى المكان معه خلال الضمير العائد اليه والمكان ليس الفاعل الحقيقي بل مكانه ، فيكون مجازاً عقلياً علاقته المكانية ، أما في البيت الثاني فان الشاعر يسند الفعل (سار) إلى (ابطح) وهو ليس الفاعل الحقيقي ، فالفاعل الحقيقي هو الدم والدم يسيل في (الأبطح) وبذلك تكون علاقة المجاز العقلي هنا المكانية.

¹ ديوان رؤبة ص142

² ديوان جرير ص157.

³ شعر دعلج الخزاعي 73

⁴ الأنعام 6

⁵ ديوان المتنبي ج 1 ، ص 179.

⁶ وفيات الأعيان ، ابن خلكان، ج3، ص208

3- المصدرية : وهي الإسناد إلى المصدر مثل قول أبي فراس الحمداني (1):

سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

وقول الشاعر أبي تمام (2) :

تكاد عطاياه يجن جنونها إذا لم يعوزها برقية طالب

ففي البيت الأول أسند الشاعر أبو فراس الفعل (جد) إلى مصدره (الجدُّ) وهو ليس فاعله الحقيقي والعلاقة بينهما مصدرية ، أما البيت الثاني ففيه إسناد الفعل إلى مصدره فالفعل " جن " والمصدر "جنون " وهو ليس فاعله الحقيقي والعلاقة التي تحكم هذا المجاز العقلي هي مصدرية ، ومن ذلك قولنا برعت براعته وفصحت فصاحته وحسن حسنه ومن أمثلة ذلك أيضاً قول الشاعر :

قد عز عز الألى لا ييخلون على أوطانهم بالدم الغالي إذا طلبا

إذا أسند الفعل (عز) لمصدره وهو (العز) وهو ليس فاعله الحقيقي على سبيل المجاز العقلي بعلاقته المصدرية .

4-العلاقة السببية : وهي الإسناد إلى السبب مثل قوله تعالى (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ) (3) وقوله تعالى (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (4) ففي الآية الأولى أسند الفعل (يذبج) إلى الناس ، وبذلك يكون مجازاً عقلياً علاقته السببية وفي الآية الثانية أسند الفعل (خرج) إلى الشيطان وفي الحقيقة لم يكن هو الفاعل الحقيقي فالفاعل الحقيقي هو الله عز وجل ولكن الشيطان كان سبباً وبذلك يكون مجازياً عقلياً علاقته السببية ، ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى (وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (5) إذا أسند الفعل " زاد " إلى الآيات وهي ليست الفاعل الحقيقي بل سبباً أما الفاعل الحقيقي فهو الله عز وجل والعلاقة هنا

¹ ديوان أبي فراس الحمداني ص 85 .

² شرح ديوان أبي تمام ج 1 ص 65

³ القصص 4

⁴ البقرة 36

⁵ الأنفال 2

سببية ، ومن الشواهد الشعرية على هذه العلاقة قول الشاعرة جليلة في أخيها جساس عند ما قتل زوجها كليب⁽¹⁾

فعل جساس على وجدي به قاصم ظهري ومدن أجلي

وقول المتنبي في مدح كافور الإخشيدي⁽²⁾

أبا المسك أرجو منك نصراً على العدى وأمل عزاً يخضب البيض بالدم

وقوله أيضاً :⁽³⁾

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقول أبي مخزوم النهشلي التميمي يفتخر بقومه :⁽⁴⁾

إني لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة ألا أين المحامونا

ففي البيت الأول يتحقق المجاز العقلي في إسناد (قاصم) و (مدن) للفعل وهو ليس الفاعل الحقيقي بل سبباً فيه ومن هنا كانت العلاقة سببية، وفي البيت الثاني يتحقق المجاز العقلي في إسناد الفعل (يخضب) إلى العز الذي لا يمثل الفاعل الحقيقي بل السبب فيه ومن هنا كانت العلاقة سببية أما في البيت الثالث فإن المجاز العقلي يتحقق من خلال إسناد الشاعر الفعلين (يخترم) و (يشيب) إلى الهم الذي لا يمثل الفاعل الحقيقي بل يمثل السبب فيه فتكون العلاقة سببية ، وفي البيت الأخير يسند الشاعر الفعل (أفنى) إلى (القيل) الذي لا يمثل الفاعل الحقيقي بل السبب فيه ، وبذلك يكون هذا الإسناد على سبيل المجاز العقلي بعلاقته السببية ، وذلك لأن الفاعل الحقيقي هو : الشجعان .

5-الفاعلية : وهي فيما بني للمفعول وأسند إلى الفاعل الحقيقي مثل قولهم (جعلت بيني وبينك حجاباً ساتراً) ومثل ذلك قولهم (سيل مفعم) بفتح العين إذ بني الاسم (مفعم) للمفعول وأسند إلى الفاعل الحقيقي وهو (سيل) على سبيل المجاز العقلي بعلاقته الفاعلية ، إذ الأصل (سيل مفعم) بكسر العين .

¹ شواعر العرب ص 75

² ديوان المتنبي ، ج2 ، ص485

³ المصدر نفسه ج2، ص472

⁴ الكامل في اللغة والأدب،الميرد ، ت محمد ابو الفضل ابراهيم،دار الفكر العربي ،بيروت ط3 ، 1997، ج1، ص95

6-المفعولية : وهي فيما بني للفاعل وأسند إلى المفعول الحقيقي مثل قوله تعالى (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) (1) فقد بني الاسم (راضية) للفاعل وأسند إلى المفعول الحقيقي وهو (عيشة) على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المفعولية لأن العيشة مرضية لا راضية ، ومثل قوله تعالى (خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ) (2) فقد بني الاسم (دافق) للفاعل وأسند إلى المفعول الحقيقي ماء على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المفعولية والأصل في الكلام مدفوق ومثل ذلك أيضاً قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر (3) :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقول النابغة الذبياني : (4)

فبت كأي ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

فالمجاز العقلي في بيت النابغة موجود في قوله (أنت الطاعم الكاسي) إذا أسند الشاعر الوصف المبني للفاعل (الطاعم) و(الكاسي) للمفعول الحقيقي (أنت) على سبيل المجاز العقلي بعلاقة المفعولية وأصل الكلام فاقعد فإنك أنت المطعوم والمكسو ، لأن صيغة المفعولية هي المناسبة لمن ليس أهلاً للمعالي ، أما بيت النابغة فالمجاز العقلي نجده في قوله (ناقع) إذا أسند هذا الاسم المبني للفاعل إلى المفعول الحقيقي وهو السم على سبيل علاقة المفعولية ، فالسم لا يكون ناقعاً وإنما يكون منقوعاً في ماء أو غيره.

قرينة المجاز العقلي : والقرينة هي الدليل الذي يضعه المتكلم كي يعرف السامع أن الإسناد مجاز عقلي وليس حقيقة وهي نوعان : لفظية ومعنوية .

1-القرينة اللفظية : وهي لفظ في الكلام يصرف الإسناد عن ظاهره مثل قول الشاعر أبي

النجم (5)

قد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنباً كله لم أصنع

من إن رأت رأسي كراس الأصلع ميز عنه قنزعاً عن قنزع

1 الحاقة 21

2 الطارق 6

3 ديوان الحطيئة ص 45

4 ديوان النابغة الذبياني ص 125

5 الاغاني ، الاصفهاني ، ج 10 ، ص 350 ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 594 .

جذب الليالي : أبطني وأسرعني

وهذا مجاز بدليل قوله:

أفناه قيل الله للشمس اطلعي حتى إذا وافاك أفق فارجعي

فقد أسند الشاعر (ميز) إلى جذب الليالي على سبيل المجاز العقلي لعلاقة السببية أو الزمانية والقرينة لفظية وهي (قيل الله) وهي تدل على أن الشاعر مؤمن بالله وأنه يريد المجاز العقلي ،
2-القرينة المعنوية : وهي أمر معنوي غير لفظي يدل على أن الإسناد مجاز عقلي وهي أحد أمرين :

أ- صدور المسند من المسند إليه أو قيامه مستحيل عقلاً أو عادة ، فالمستحيل عادة كقولنا : بني الملك المدينة ، فإسناد البناء للملك مجاز عقلي من خلال إسناد الفعل إلى سببه والقرينة معنوية وهي استحالة صدور الفعل من الملك عادة ومن المستحيل عقلاً قولنا (علي نهاره صائم) فإسناد (صائم) إلى النهار مجاز عقلي علاقته الزمانية والقرينة معنوية وهي استحالة صدور الصيام من النهار .

ب- صدور الكلام من المؤمن مثل قول غلام لهشام بن عبد الملك : (أصابتنا سنون ثلاث : فسنة أكلت اللحم ، وسنة أذابت الشحم ، وسنة طحنت العظم)⁽¹⁾ ، فإسناد الأفعال : أكلت وأذابت ، وطحنت إلى السنة مجاز عقلي ، والقرينة غير لفظية لأن الكلام صادر من المؤمن الذي يسند مثل هذه الأفعال إلى الله عز وجل وعلاقة المجاز هنا زمانية

بلاغة المجاز العقلي :

يعد المجاز العقلي من الفنون البلاغية البيانية ذات الطاقة التعبيرية العالية والجماليات المؤثرة الكبيرة ، وذلك لما فيه من استتار للمعنى وما يستوعبه من شحنات عاطفية ودلالية عالية ، تحرك العاطفة والمشاعر في نفس السامع ، لتحقيق له متعة لا يمكن أن يشعر بها إلا من يملك ذائقة أدبية ، فضلاً عن الإيحاء بالمعنى والمبالغة في أدائه والإيجاز في تركيبه .

ويقف العلامة عبد القاهر الجرجاني عند بلاغة هذا النوع من المجاز وينبه على فخامته ، عندما يتحول الإسناد من الحقيقة إلى المجاز فلا يخفى على العارف الفرق بين قولنا قوله (فنام ليلى

¹ المستطرف في كل فن مستظرف ج1، ص114

(و (تجلى همي) على سبيل المجاز العقلي وبين قولنا في الحقيقة : فنمت في ليلي وتجلت همي ،
فمكان العلو في العبارة واضح ومزية التأثير أوضح بين قوله تعالى (فما ربحت تجارتهم) وبين أن
يقال : فما ربحوا في تجارتهم ، ومما يؤكد ذلك قول الفرزدق¹ :

يحمي إذا اخترط السيوف نساءنا ضرب تخر له السواعد أرعل

ان جمال هذا القول راجع الى ما فيه من مجاز من خلال اسناد الفعل (يحمي) الى (الضرب)
، اذا ما ارجعنا الاسناد الى الحقيقة وقلنا نحمي إذا اخترط السيوف نساءنا بضرب تخر له السواعد
أرعل ، نرى ان جمال التعبير وقوته قد زالت ، فهذا النوع من المجاز على حدته براعة و بلاغة
تعين الشاعر المبدع والكاتب البليغ في الاتساع فيأساليب البيان ، وأن يأتي بالكلام مطبوعاً ومؤثراً ،
وأن يضعه بعيد المرام ، قريباً من الإفهام.⁽²⁾

ويرى الجرجاني أن بلاغة المجاز العقلي تفوق المجاز المرسل ويقارن بين المجاز المرسل
والعقلي من جهة والاستعارة التصريحية والمكنية من جهة أخرى إذ يقابل المجاز المرسل بالاستعارة
العامية والتصريحية التي يكون فيها المعنى واضحاً بشكل كبير ويقابل المجاز العقلي بالاستعارة
الخاصية المكنية التي يكون فيها المعنى مستتراً بعض الشيء ويحتاج إلى تأمل وتأويل من أجل
الوصول إليه فضلاً عن أن تأثير المجاز العقلي مثل تأثير الاستعارة الخاصية المكنية فهو واسع
وكبير³ .

مجاز الاستعارة :

¹ ديوان الفرزدق، ص490

² ينظر: دلالات الإعجاز : الجرجاني دار المعرفة بيروت 1982م ص 228 .

³ ينظر: دلالات الإعجاز : الجرجاني دار المعرفة بيروت 1982م ص 229 .

لغة: مأخوذة من قولهم استعار المال إذا طلبه عارية ، أي نقل الشيء من شخص إلى آخر والعارية و العارة ما تداولوه بينهم ، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه ، واستعار الشيء طلب منه أن يعيره إياه (1)

اصطلاحاً: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة مانعة عن إرادة المعنى الأصلي².

والاستعارة مجاز لغوي عند أكثر البلاغيين ومنهم عبد القاهر الجرجاني الذي كان يرى أن الاستعارة مجاز عقلي تارة (3) وتارة أخرى يرى أنها مجاز مرسل (4) والاستعارة من الفنون البلاغية التعبيرية المؤثرة ، ويشير الدكتور أحمد مطلوب أن أبا عمرو بن العلاء أقدم الذين ذكروها (5) إذ يذكر الحاتمي "أن أبا عمرو بن العلاء قال : كانت يدي في يد الفرزدق وأنشدته قول ذي الرمة⁶:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في ملائته الفجر

قال : فقال لي : أ أرشدك أم أدعك ؟ قلت بل أرشدني فقال : إن العود لا يذوي أو يجف الثرى وإنما الشعر (حتى ذوى العود والثرى) ثم قال أبو عمرو بن العلاء ولا أعلم قولاً أحسن من قوله (وساق الثريا في ملائته الفجر) ، فصير للفجر ملاة ، ولا ملاة له ، وإنما استعار هذه اللفظة وهو من عجيب الاستعارات (7) ويذكر الباقلائي الاستعارة في معرض حديثه عن شعر امرئ القيس فذكر قوله⁸:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

إذ يقول واقتدى به الناس واتبعه الشعراء ف قيل : (قيد النواظر) و(قيد الألاحظ) و (قيد الكلام) و(قيد الحديث) و(قيد الرهان) ثم يشير الباقلائي إلى استحسان الرواة منهم أبو عمر بن

¹ لسان العرب مادة عور

² ينظر دلائل الإعجاز، ص53

³ دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص233

⁴ أسرار البلاغة ، الجرجاني، ص27

⁵ معجم المصطلحات البلاغية ج1 ص 136

⁶ شرح ديوان ذي الرمة، ص102

⁷ حلية المحاضرة ج1 ص 136

⁸ شرح ديوان امرئ القيس، ص153

العلاء والأصمعي وأبو عبيدة هذه العبارة وجعلوه من باب الاستعارة البليغة⁽¹⁾ ويذكر الاستعارة أبو عبيدة عندما علق على بيت الفرزدق²:

لا قوم أكرم من تميم إذ غدت عوذ النساء يسقن كالآجال

إذا يشير إلى أن الفرزدق قصد بـ (عوذ النساء) اللاتي معهن أولادهن وكلمة (عوذ) في الأصل هي الإبل التي معها أولادها فنقلته العرب إلى النساء وهذا من المكارم، والملاحظ على هذه الجهود أنها بقيت تدور في فلك المعنى اللغوي للاستعارة وأن كان قريباً من المعنى الاصطلاحي ومما يؤكد ذلك عدم تعريفهم لها، ولعل الجاحظ أول من عرفها بقوله "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه" وسماها مثلاً وبديعاً عند تعليقه على بيت الأشهب بن رميلة:

هم ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد

إذ وقف عند قول الشاعر: (هم ساعد) وسمى هذا التركيب بالمثل وقال أيضاً هذا الذي تسميه الرواة البديع⁽³⁾، ويخلط ابن قتيبة بين الاستعارة والمجاز المرسل إذ يطلق الاستعارة على جميع أنواع المجاز فيقول: فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاوراً لها أو مشاكلاً⁽⁴⁾ وهذا التعريف ينطبق على جميع أنواع المجاز لاسيما المرسل بعلاقته السببية والمجاورة ويؤكد ذلك الشواهد التي يذكرها في هذا المجال مثل قول معاوية بن مالك⁵:

إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

ففي لفظ (السماء) مجاز مرسل علاقته السببية وليس استعارة، ويذكر المبرد الاستعارة إذ يرى أن العرب تستعير من بعض لبعض⁽⁶⁾ ويرى ثعلب أن الاستعارة هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه⁽⁷⁾ أما ابن المعتز فيرى أن الاستعارة هي "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها

¹ ينظر: إعجاز القرآن ص 107

² ديوان الفرزدق، علي فاغور، ص 495

³ البيان والتبيين ج 4 ص 55

⁴ تأويل شكل القرآن ص 102

⁵ الأصمعيات، الأصمعي، ت أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط 5، بيروت، ص 214

⁶ الكامل في اللغة ج 1 ص 244

⁷ قواعد الشعر 46

من شيء عرف بها " (1) وبعد ذلك أخذ مفهوم الاستعارة يتطور لدى بعض النقاد والبلاغيين ومن هؤلاء القاضي عبد العزيز الجرجاني الذي يقول عنها "الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزج اللفظ بالمعنى بحيث لا يوجد بينهما منافرة (2) ويرى أحد الباحثين المعاصرين أن هذا التعريف يتسم بالوضوح وعمق الدلالة ، إذ يوضح القاضي الجرجاني العلاقة بين المستعار له والمستعار منه وهي المشابهة ويؤكد على ائتلاف الألفاظ مع المعاني حتى لا تكون هناك منافرة (3)

ويرى الرماني أن الاستعارة هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل (4) ويذكر ابن سنان الخفاجي كلام الرماني ويقول أن تفسير هذه الجملة قوله عز وجل (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا) استعارة لأن الاشتعال للنار ولم يوضع في أصل اللغة للشيب فلما نقل إليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لأن الشيب لما كان يأخذ في الرأس شيئاً فشيئاً حتى يحيله إلى غير لونه الأول ، كان بمنزلة النار التي تسرى في الخشب حتى تحيله إلى غير حاله المتقدمة (5) ، ويشترط أبو هلال العسكري في الاستعارة أن يكون لها قصد أو هدف وإلا فإن استعمال اللفظ في معناه الأصلي أولى إذ يقول " أنها نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض " (6)

ويعد العلامة عبد القاهر الجرجاني من أكثر علماء البلاغة اهتماماً بالمصطلح البلاغي من حيث تحديد مفهومه وبيان أسسه ومبادئه والتدليل على ذلك من خلال تحليل العديد من الشواهد و كانت الاستعارة قد نالت اهتماماً كبيراً من قبله إذ نظر إليها نظرة دقيقة وشاملة وضع من خلالها حدودها إذ قال عنها هي " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه (7) وهي عنده فرع من التشبيه أو صورة مقتنصه منه (8) ، وبذلك يكون مفهوم التشبيه قد اكتمل فلم يضاف الذين جاءوا من بعده إلى مفهومه للتشبيه شيئاً سوى التحديد والتقسيم ، فالرازي يقدم تعريفاً لها لا يختلف عن تعريف الجرجاني فهي عنده ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما

1 البديع ، ابن المعتز ص 3

2 الوساطة بين المتنبي وخصومه ص 40

3 معجم المصطلحات البلاغية ج 1 ص 139

4 النكت في إعجاز القرآن ص 79 .

5 سر الفصاحة ابن سنان ص 135

6 كتاب الصناعتين ص 268

7 دلائل الإعجاز ص 53

8 اسرار البلاغة ص 22

لغيره لأجل المبالغة في التشبيه وهي عنده عبارة عن جعل الشيء الشيء أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه (1) .

ويأخذ السكاكي ما قاله عبد القاهر الجرجاني والرازي عن الاستعارة ويعرفها بقوله "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به" (2) ، وفي هذا التعريف إشارة للاستعارة التصريحية والمكنية ، وتأتي دقة هذا التعريف من خلال توظيف المنطق في تحديد أبعاد الاستعارة وأشكالها ، ويرى ابن الأثير أن الاستعارة هي تشبيه الشيء بالشيء مع ترك المشبه فتأتي بالمشبه به فتجريه على المشبه ، ويرى أن حد الاستعارة : نقل المعنى من لفظ إلى لفظ لمشاركة بينهما مع طي ذكر المنقول لأنه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حداً لها دون التشبيه (3) .

أما القزويني فيرى أن الاستعارة هي ما كانت علاقتها تشبيه معنًى بما وضع له وقد تقيد بالتحقيقية لتحقيق معناه حساً وعقلاً أي التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال أن اللفظ نقل من مسماه الأصلي فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه (4) ويحاول العلوي أن يشير إلى الاستعارة التصريحية والمكنية وأن يفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الأداة فيختار إحد التعريفات للاستعارة وهي تصييرك للشيء الشيء وليس به وجعلك الشيء وليس له بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكماً (5) ولا تخرج تعريفات المتأخرين عن تلك التعريفات التي ذكرناها وبشكل خاص تعريفات الجرجاني السكاكي والقزويني ، وللستعارة ثلاثة أركان لا بد منها وهي : (6)

- 1- المستعار منه وهو المشبه به .
- 2- المستعار له وهو المشبه .
- 3- المستعار وهو اللفظ المنقول .

¹ نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز ص 82

² مفتاح العلوم ص 174

³ المثل السائر ج 1 ص 364

⁴ التلخيص ص 300 .

⁵ الطراز ، العلوي ، ج 1 ص 202

⁶ معجم المصطلحات البلاغية ص 86

ويسمى المستعار منه والمستعار له طرفي الاستعارة ، وفي قوله تعالى (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) ⁽¹⁾ يكون المستعار منه هو النار والمستعار له هو الشيب والمستعار هو الاشتعال والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار أو لهبها ببياض الشيب ، كما لا بد للاستعارة من قرينة تدل على أنها ليست تعبيراً حقيقياً .

الاستعارة التصريحية :

وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه ، أو التي يكون الطرف المذكور فيها هو المشبه به ومثال هذه الاستعارة قوله تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) ⁽²⁾ أي من الضلالة إلى الهدى ، إذ استعيرت (الظلمات) للضلال لتشابهها في عدم الاهتداء ، وكذلك استعير لفظ (النور) للإيمان لتشابهها في الهداية ، والمستعار له وهما الضلالة والإيمان كل منهما متحقق عقلاً ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) ⁽³⁾ أي الدين الحق ، فالصراط المستقيم مستعار للدين الحق والجامع تشابههما في كونهما يوصلان إلى المطلوب وهي استعارة تصريحية لأن المشبه محذوف والمشبه به موجود . ومن شواهد الاستعارة التصريحية قول المتنبي ⁽⁴⁾

في الخد إن عزم الخليط رحيلاً مطر يزيد به الخدود محولاً

فالاستعارة في كلمة (مطر) إذا شبه الدمع بالمطر ثم حذف الدمع وهو المشبه وابقى المشبه به وهو المطر على سبيل الاستعارة التصريحية ومن الشواهد الأخرى قول المتنبي أيضاً ⁽⁵⁾

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

وقول الحطيئة⁶:

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ زغب الحواصل لاماء ولا شجر

¹ مريم 4

² إبراهيم 1

³ الفاتحة 6

⁴ ديوان المتنبي، ج 2 ، ص 213

⁵ ديوان المتنبي، ج 1 ، ص 633

⁶ ديوان الحطيئة، ت مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1993 ص107

وقول شوقي في رثاء عمر المختار¹:

يا أيها السيف المجرد بالفلا يكسو السيوف على الزمان مضاء

وقول جيل بثينة²:

يموت الهوى إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتها فيعود

وقول المتنبي في وصف القلم³:

يمج ظلاماً في نهار لسانه ويفهم عن قال ما ليس يسمع

فالاستعارة في البيت الأول وهو للمتنبي في كلمتي (البحر) و (الندى) إذ شبه الممدوح وهو سيف الدولة بالبحر مرة والبدر مرة أخرى على سبيل الاستعارة ، أما في البيت الثاني فالاستعارة موجودة في كلمة (أفراخ) وهو المشبه به أما المشبه فهو الأطفال وهو محذوف والاستعارة تصريحية لأن الشاعر قد صرح بالمشبه به أما قرينة هذه الاستعارة فهي قول الشاعر (ماذا تقول) وفي البيت الثالث فان الاستعارة في كلمة (السيف) وهو المشبه به أما المشبه فهو (عمر المختار) وقد حذفه الشاعر وأبقى على المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية وقرينة هذه الاستعارة قوله (يا أيها) وفي البيت الرابع تتحقق الاستعارة في كلمتين (يموت) و (يحيا) وكل منهما يمثل المشبه به أما المشبه فهو مع (يموت) عدم الشعور بالحب ومع (يحيا) تجدد الشعور بالحب إذ شبه الشاعر عدم الإحساس بالحب بالموت وتجدد الإحساس به بالحياة فذكر المشبه به وحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة في الاستعارتين لفظية وهي (يموت، يحيا) ، وفي البيت الأخير تتحقق الاستعارة في كلمة (الظلام) وهي المشبه به أما المشبه فهو (الحبر) وهو محذوف والاستعارة تصريحية لأن الشاعر حذف المشبه وأبقى المشبه به وقرينة الاستعارة هي كلمة (يمج) .

¹ الشوقيات، أحمد شوقي، دار العودة بيروت، 1988، ج3، ص17

² ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، ص40

³ ديوان المتنبي، ج1، ص571

وهذا الاستعارة هي اقرب إلى التشبيه لان المشبه يمكن تقديره من خلال السياق وإدعاء صورة المشبه به، للمشبه ليست قوية ، وذلك فهي دون مستوى وقوة الاستعارة المكنية لعدم الحاجة إلى كد الذهن للوصول إلى قصد المتكلم.

الاستعارة المكنية : وتسمى أيضاً بالمكنى عنها وهي الاستعارة التي اختفى فيها لفظ المشبه به واكتفى بذكر شيء من لوازمه مثل قول أبي ذؤيب الهذلي¹:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تيممة لا تنفع

إذ شبه المنية أي الموت بالسبع في اغتياله للنفوس فحذف المشبه به وهو السبع وأبقى على شيء من لوازمه وهي الأظفار التي لا يتحقق الاغتيال إلا بها على سبيل الاستعارة المكنية التي يكنى فيها عن المشبه به ، وكذلك قول دعل الخزاعي⁽²⁾

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

إذ شبه المشيب بالإنسان ثم حذفه أي المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو الضحك على سبيل الاستعارة المكنية ، وتقابل الاستعارة المكنية الاستعارة التصريحية وذلك من حيث حذف وذكر المشبه والمشبه به ، ففي التصريحية يحذف المشبه وفي المكنية يحذف المشبه به ويبقى على قرينة تدل عليه، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى هذين القسمين وإن لم يسمهما فقال عن التصريحية أن تنقله – أي الاسم – عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجربه عليه وتجعله متناولاً له تناول الصفة للموصوف مثل قوله (رأيت أسداً) أي رجلاً شجاعاً وقولهم (عنت لنا ظبية) أي امرأة فالاسم في مثل هذه الأمثلة متناول شيئاً معلوماً يمكن أن ينص عليه فيقال أنه عنى بالاسم وكنى به مسماه الأصلي فجعل اسماً على سبيل الإعارة والمبالغة في التشبيه ، ويقول عن المكنية أن يؤخذ الاسم من حقيقته ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء يشار إليه فيقال هذا هو المراد بالاسم الذي استعير له وجعل خليفة لاسمه الأصلي ونائباً منابه ، ومثاله في ذلك قول لبيد بن ربيعة :

(3)

¹ ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965، ص3

² شعر دعل الخزاعي ص 204.

³ ديوان لبيد بن ربيعة ص 176 .

وغداة ربح قد كشفت وقرة إذا صحبت بيد الشمال زمامها

وذلك أنه جعل للشمال يداً ومعلوم أن ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجري إليه عليه كإجراء الأسد على الرجل والسيف على الرجل في قولك (انبرى لي أسد) يزأر و(سللت سيفاً على العدو لا يفل) ، وليس من ذلك في بيت لبيد ، أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريح الغداة على حكم طبيعتها كالمدير المصرف لما زمامه بيده مقادة في كفه ، وذلك كله لا يتعدى التخيل والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء يحس وذات تتحصل ، ويقارن الجرجاني بين القسمين فيؤكد أن الذي يفصل بينهما أنك إذا رجعت في الشيء القسم الأول (التصريحية) إلى التشبيه الذي هو مغزى كل استعارة تفيد ، وجدته يأتنيك عفواً أي لا يحتاج الى تأمل وكد في الذهن كما في قولك (رأيت أسداً) أي رجلاً كالأسد أما في القسم الثاني (المكنية) فإن الجرجاني يرى أنه لا يؤتي السامع أو الملتقى تلك المؤاتاة التي وجدناها في القسم الأول إذ يترأى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترًا وتعمل تأملاً وفكراً وبعد أن تغير الطريقة وتخرج عن الحد الأول ، كقولك إذ أصبحت الشمال ولها في قوة تأثيرها في الغداة شبه المالك في تصريح الشيء بيده ، فهنا لم يكن القصد جعل الشمال كاليد كما تجعل الرجل كالأسد ولكن المراد جعل الشمال كذي اليد من الأحياء ⁽¹⁾ ويشير الجرجاني أيضاً إلى طريقة أخرى لبيان الفرق بين القسمين وهي أن المشبه في القسم الأول (التصريحية) وصف موجود في الشيء الذي له استعرت ، واليد ليست توصف بالشبه ، ولكنه جملة تكسبها اليد صاحبها وتحصل له بها ، وهي التصرف على وجه مخصوص ⁽²⁾

وقد سار البلاغيون فيما بعد على ما قدمه الجرجاني في هذا المجال الخاص بتحديد الاستعارة المكنية إذ يقول عنها السكاكي هي أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالا على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به ⁽³⁾ وأما القزويني فيرى أنه قد يحذف المشبه به في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسياً أو عقلياً أجرى عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها وثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية ⁽⁴⁾ ولم يخرج

⁽¹⁾ أسرار البلاغة ص36

⁽²⁾ أسرار البلاغة ص37.

⁽³⁾ مفتاح العلوم 179 .

⁽⁴⁾ التلخيص 324 .

البلاغيون بعده عن هذا التعريف الذي يؤكد فيه أن الاستعارة تبقى فرعاً من التشبيه الذي يمثل الأصل ومن شواهد الاستعارة المكنية الشعرية نذكر قول النابغة حين عاتب المشيب (1)

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما أصح والشيب وازع

وقول أبي تمام (2)

في أوان من الربيع كريم وزمان من الخريف حسيب

وقوله أيضاً (3)

ولما رأيت الدين يخفق قلبه والكفر فيه تغطرس وعرام

وقول عنتره يذم الدهر⁴:

دهر يرى الغدر من إحدى طباعه فكيف يهنا به حر يصاحبه

وقول الشاعر المعاصر عبد الرزاق الربيعي من قصيدة (أصابع فاطمة)⁵

وفاطمة

جلست على راح الرياح

تمشط الأزهار

في شعر الفصول النائمة

وقول الشاعر المعاصر جواد الحطاب من قصيدة (الصعلوك) (6) :

مثل ملك

¹ ديوان النابغة، ت حنا نصر، دار الكتاب العربي، ط 1، 1991، ص 120

² شرح ديوان أبي تمام ج 1 ص 118

³ شرح ديوان أبي تمام ج 3 ص 154

⁴ شرح ديوان عنتره، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1992، ص 38

⁵ موجز الأخطاء (ديوان شعر) عبد الرزاق الربيعي دار صبور جنيب ط 1 1999 ص

⁶ (ديوان شعر) جواد الحطاب دار أسامة عمان - الأردن ط 1 1997 ص

عليّ أن أحمل الشوارع الهرمة

لفضاء منزو

قبل أن تموت على قارعة الأقدام

وقول الشاعر علي حداد من قصيدة (انظروا إنه السياب) ⁽¹⁾

عل البصرة تأتيني

فنتشاركني رنتي

أو أنسل إليها

فوق خيوط دخان مر على القلب

فأشعل فيه الخوف

وأيقظ فيه الشعر

وقول الشاعر أدونيس من قصيدته (أيام صقر) ⁽²⁾

..أنا في فضاء الجنادب تحت الغيوم الجريحة

حجر ميت الجناح

وقوله أيضاً من ديوانه الكتاب أمس المكان الآن ⁽³⁾ :

خيمت غيمة

فوق حقل حزين

أخذ الحقل يقرأ للطير أشعاره

¹ (شجر الكلمات (ديوان شعر) د. علي حداد دار أسامة عمان – الأردن ط1 1998ص

² (الآثار الكاملة أدونيس ، دار العودة بيروت ط2 1971ص

³ (الكتاب أسس المكان الآن ، أدونيس ، مركز دراسات ، لندن ط 1995م ج1 ص 142

عودة للشواهد المذكورة نجد أن الاستعارة تتحقق في البيت الأول في كلمة الشيب إذ يستعير الشاعر العتاب للشيب وهو للإنسان فيشبه الشيب بالإنسان ويحذف الإنسان وهو المشبه به ويبقى على قرينة تدل عليه وهي (عاتبت) و (قلت) على سبيل الاستعارة المكنية ، والملاحظ أن هذا النوع من الاستعارة يعطي قيمة جمالية للتعبير ويجعله أكثر تأثيراً في السامع وهذا ما قصده النابغة في هذا البيت ، وفي البيت الثاني يستعير أبو تمام الكرم وهي صفة معروف بها الإنسان إلى الربيع فيشبه الربيع بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقى على قرينة تدل عليه وهي (كريم) على سبيل الاستعارة المكنية ، وفي الشاهد الثالث وهو لأبي تمام أيضاً نلاحظ أن الشاعر يشبه كل من الدين والكفر بالإنسان ويحذف الإنسان وهو المشبه به ويبقى قرائن تدل عليه فمع تشبيه الدين بالإنسان تتمثل القرينة بقوله (يخفق قلبه) ومع تشبيه الكفر بالإنسان قوله (تغطرس وعرام) وهي من صفات الإنسان ، ومثلما قال الجرجاني نلاحظ هذا النوع من الاستعارة يتطلب نظرة عميقة مركزة للتعبير فضلاً عن القدرة في التأويل من أجل الوصول إلى قصد الشاعر أو المتكلم ، أما في الشاهد الرابع فإننا نلاحظ أن الشاعر عنتره يستعير الرؤية والغدر للدهر وهي للإنسان إذ يشبه الدهر بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقى على قرينة تدل عليه وتتمثل هذه القرينة بـ (يرى الغدر) وأيضاً في الشطر الثاني في قوله (يصاحبه) والضمير عائد على الدهر ويكون ذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

أما شواهد الشعر الحديث فقد اخترناها لسببين أولهما أن معظم الذين كتبوا في البلاغة العربية كتباً توصف بالمنهجية اقتصر شواهدهم على ما ذكرتها كتب البلاغة ولم يتجاوزوا ذلك إلى الشعر العربي القديم وهو نتاج واسع وكبير فضلاً عن عدم تطرقهم إلى الشعر الحديث ، أما السبب الثاني فهو أن الشعر الحديث يقوم بشكل كبير على الاستعارة والتي تتصف بالجدة والابتكار وتركوا الاستعارة المكرورة التي أصبحت من باب الحقيقة كما يصفها الجرجاني ففي المقطع الصغير الذي اخترناه من قصيدة أصابع فاطمة للشاعر عبد الرزاق الربيعي نلاحظ ثلاث استعارات في بعض منها جدة وابتكار وإن كانت الأولى التي يشبه فيها الرياح بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقى على قرينة تدل عليه وهو (راح) تذكرنا ببيت لبـيد (بيده الشمال) إذ تتمثل الاستعارة الثانية التي لا تبنى على طريقة الشعراء القدامى باستعارة التمشيط للأزهار من خلال تشبيه الأزهار بالشعر فحذف الشعر وترك أحد لوازمه وهو (تمشط) وهي استعارة مكنية وقد يكون العكس أي أنه شبه الشعر بالأزهار على طريقة الاستعارة التصريحية أما الاستعارة الثالثة فإنها تتحقق في استعارة الشعر والنوم

للفصول ، إذ شبه الفصول بالإنسان وحذف الإنسان وهو المشبه به، وأبقى على قرينة تدل عليه وهي قوله (شعر) و (النائمة) على سبيل الاستعارة المكنية ، وهذا الاعتماد الكبير على الاستعارات الجديدة التي ينتج عنها المفارقات الدلالية التي تستنفر السامع وتؤثر فيه هي ما يميز القصيدة الحديثة ، ففي الشاهد الثاني من الشعر الحديث يستعير الشاعر جواد الخطاب الهرم للشوارع إذ يشبه الشوارع بالإنسان الهرم الكبير ويحذف الإنسان ويبقي على قرينة تدل عليه وهي (الهرمة) وهي استعارة مكنية ويلجأ الشاعر مرة أخرى إلى الاستعارة المكنية عندما يستعير الموت للشوارع إذ يشبهها بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقي على قرينة تدل عليه وهي الفعل (تموت) وفي قصيدة الشاعر علي حداد يشبه مدينة البصرة بالمرأة ويحذف المرأة ويبقي على قرينة تدل عليه وهو الفعل (تأتي) فالمدينة لا تأتي ، ومرة أخرى يستعير الاشتعال للخوف إذ يشبه الخوف بالخشب ويحذف الخشب ويبقي على قرينة تدل عليه وهي الفعل (اشتعل) ويستعير الشاعر اليقظة للشعر فيشبه الشعر بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقي على قرينة تدل عليه وهي الفعل (أيقظ) وكل ذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

أما أدونيس فإنه يستعير الجرح للغميمة من خلال الاستعارة المكنية إذ يشبه الغيمة بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقي على قرينة تدل عليه وهي (الجريحة) فالغميمة لا تجرح ويستعير الجناح والموت للحجر إذ يشبهه بالطير ويحذف الطير ويبقي على قرائن تدل عليه وهي (ميت) و (جناح) وكل ذلك على سبيل الاستعارة المكنية إذ يشبه الحقل بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقي على قرينة تدل عليه وهذه القرينة هي (حزين) مرة و (يقرأ) مرة أخرى ، كما أن في المقطع استعارة أخرى تتمثل في تشبيهه الطير بالإنسان وحذفه للإنسان وإبقائه على قرينة تدل عليه وهو تعلق شبه الجملة (للطير) بالفعل (يقرأ) ويلاحظ على هذه الاستعارات غرابتها التي أصبحت سمة مميزة للشعر الحديث الباحث عن أساليب وتراكيب يفاجئ بها المتلقي ليضمن تأثيره فيه ومثل هذه الاستعارات نجدها بكثرة في القصائد الحديثة وذلك لأن الشعر الحديث أصبح يقوم بشكل كبير على المفارقة الدلالية التي لا يخلقها إلا مثل هذه الاستعارات المكنية التي تقرب الأمور والأشياء المتباعدة ، لتعبر من خلال هذا التقريب عن العديد من الأفكار والمعاني .

الاستعارة التحقيقية : وهي الاستعارة التي يكون فيها المستعار له (المشبه) المتروك شيئاً متحققاً إما حسياً أو عقلياً⁽¹⁾ أي أن المستعار له نقل إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه إشارة حسية مثل قولنا (رأيت بحراً يعطي)، أو إشارة عقلية مثل قوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)⁽²⁾ فهذه استعارة تصريحية تحقيقية لأن المستعار له وهو الدين الحق يمكن الإشارة إليه إشارة عقلية ، ويسمى العلوي هذا النوع من الاستعارة بالتحقيقية إذ يقول " وأما الحقيقية فهي أن تذكر اللفظ المستعار مطلقاً ، كقولك (رأيت أسداً) والضابط لها أن يكون المستعار له أمراً محققاً سواءً جرد من حكم المستعار له أو لم يجرد بأن يذكر الاستعارة ثم يأتي بعد ذلك بما يؤكد أمر المستعار له ويوضح حاله "⁽³⁾ مثل قول وجيه الدولة الحمداني⁴ :

تري الثياب من الكتان يلحمها نور من البدر أحياناً فيبليها

فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالع فيها

فالاستعارة هنا في لفظ البدر في البيت الثاني إذ شبه به الوجه فحذف الوجه وهو المشبه (المستعار له) وأبقى البدر وهو المشبه به (المستعار منه) ، و ذكر بعد الاستعارة ما يؤكد أمر المستعار له وهو (الوجه) وذلك بقوله (في كل وقت طالع فيها) فالبدر لا يطالع في كل وقت وإنما الوجه الذي يطالع في كل وقت ولذلك تبلى معاجرها أي الثوب الذي تضعه المرأة على رأسها وبذلك يكون المستعار له متحققاً حسياً فتكون الاستعارة تحقيقية ، ويمثل السيوطي للاستعارة التحقيقية التي يكون فيها المستعار له متحققاً حسياً بقوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)⁽⁵⁾ على تأويل أن ما يرى على الإنسان عند شدة الخوف والجوع من الضعف والهزال وصفار اللون وضعف الحال وسيطرة القلق يشابه الملابس فيشبه حال من تكلم عنها باللباس على سبيل الاستعارة التصريحية التحقيقية التي يكون فيها السمتعار له مطلقاً ومتحققاً حساً ، أما الاستعارة التحقيقية التي يكون فيها المستعار له متحققاً عقلاً فيمثل لها بقوله تعالى (وأنزلنا إليكم نوراً)⁽⁶⁾ إذ شبه البيان الواضح والحجة الدامغة بالنور فالمشبه أو المستعار له المطلق في هذه الاستعارة يتحقق عقلاً من خلال الربط بين

¹ مفتاح العلوم 176

² الفاتحة 6

³ الطراز ، العلوي ، ج1 ص 230

⁴ ديوان وجيه الدولة الحمداني

⁵ النحل 112

⁶ النساء 173

البيان الواضح والنور الساطع ⁽¹⁾ ، ومن الشواهد الأخرى على هذا النوع من الاستعارة قول قريظ بن أنيف العنبري التميمي ²:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحداناً

وقول زهير بن أبي سلمى : ⁽³⁾

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

وقول أبي دلالة يصف بغلته ⁽⁴⁾

أرى الشهباء تعجن إذ غدونا برجليها وتخبز باليدين

ففي بيت زهير استعارة تصريحية لأن المشبه محذوف وهو الرجل الشجاع والمشبه به موجود وهو الأسد وهذه الاستعارة حقيقية وذلك لأن المشبه متحقق حساً وذلك لأن الشاعر أتى بعد الاستعارة بما يؤكد المستعار له (المشبه) وهو قوله (شاكي السلاح) الذي وضح من حال المشبه، أما في البيت الثاني فإن الشاعر شبه فرسه (الشهباء) بالمرأة التي تعجن وتخبز ، وذلك من خلال حركة رجليها ويديها ، والاستعارة تصريحية إذ شبه حركة الرجلين واليدين بالعجن والتخبز ، والجامع حركة كل منهما والمشبه هو الحركة متحقق حسياً ، وهناك ما يؤكد ويوضح هذا المشبه (المستعار له) وهو قول الشاعر (إذا غدونا) وقد تكون استعارة مكنية بأن يكون الشاعر قد شبه الفرس بالمرأة وحذف المرأة وأبقى على قرينة تدل عليها وهي (تعجن وتخبز) فالفرس لا تعجن ولا تخبز وإنما المرأة التي تعجن وتخبز وتبقى الاستعارة تصريحية حقيقية لأن المشبه في هذه الحالة وهو الفرس متحقق حسياً من خلال قوله (غدونا) .

الاستعارة التخيلية : وهي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم ثم تردف بذكر المستعار له إيضاحاً لها وتعريفاً لحالها ⁽¹⁾ ، أي أن المستعار له غير متحقق لا حساً ولا عقلاً

¹ الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي، ج2 ص 45

² شرح ديوان الحماسة أبوت تمام، المرزوقي، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ج1، ص23

³ ديوان زهير بن أبي سلمى ص 173

⁴ دلائل الاعجاز، الجرجاني، ص382

وقد سماها ابن الأثير (استعارة التخيل) (2) وسماها العلوي (الاستعارة الخيالية الوهمية) (3) ومن شواهد هذه الاستعارة قول أبي ذؤيب الهذلي 4:.

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

إذ شبه الموت بالسبع وحذف السبع ، وأبقى على قرينة تدل عليه وهي (أظفار) ولما كان المستعار له غير مطلق وغير متحقق لا حساً ولا عقلاً فالاستعارة هنا مكنية تخيلية ، ويرى السكاكي أن قرينة الاستعارة المكنية قد تكون تخيلية كما في بيت أبي ذؤيب وقد تكون حقيقية كما في قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) على اعتبار أن المستعار له هنا هو الأرض متحقق حساً وبذلك يؤكد السكاكي عدم التلازم بين المكنية والتخيلية إذ يوجد كل منهما بغير الآخر ، أي قد تكون الاستعارة مكنية حقيقية وقد تكون تصريحية أو تصريحية تخيلية وقد استشهد على ذلك بقول أبي تمام (5)

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

إذ أن الشاعر قد توهم أن لللامة شيئاً شبيهاً بالماء فاستعار اسمه استعارة تخيلية غير تابعة للمكنية أي تصريحية ، وبذلك يكون في هذه المسألة رأيان :
1- رأي السكاكي وهو أن قرينة المكنية تارة تكون تخيلية وتارة تكون حقيقية .
2- رأي القزويني وهو أن قرينة المكنية لا تكون إلا تخيلية وإلى هذا الرأي مال عدد من الباحثين المعاصرين (6) ، ومن شواهد هذا النوع من الاستعارة قول الشاعر :

فسمونا والفجر يضحك في الشرق إلينا مبشراً بالصباح

وقول الكميت 7:

سأبكيك للندى وللدين إن أبت يد المعروف بعدك شلت

¹ معجم المصطلحات البلاغية ج 1 ص 152

² المثل السائر ج 1 ص 374

³ الطراز، العلوي ، ج 1 ص 232

⁴ ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965، ص 3

⁵ شرح ديوان أبي تمام ج 1 ص 22

⁶ معجم المصطلحات البلاغية ج 1 ص 155

⁷ ديوان الكميت بن زيد الاسدي، ت محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط 1، 2000، ص 105

وقول الشاعر :

سقاء الردى سيف إذا سل أومضت إليه ثنانيا الموت من كل مرقد

وقول أبي تمام¹ :

فتى كلما فاضت عيون قبيلة دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر

ففي البيت الأول شبه الشاعر الفجر بإنسان يبتسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة ، والجامع بين المستعار له والمستعار منه (البريق واللمعان) فاستعار اللفظ الدال على المشبه به وهو الفعل على سبيل الاستعارة المكنية ، وإثبات الضحك للمشبه (المستعار له) جعل من هذه الاستعارة تخيلية لأن المشبه غير متحقق لا حساً ولا عقلاً ولكن عن طريق التخيل ، وفي البيت الثاني يشبه الشاعر المعروف بإنسان له يد تعطي ، والجامع بين المستعار له والمستعار منه ، الإعطاء في كل منهما ، والاستعارة هنا مكنية لأن الشاعر حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي (اليد) وعودة للمستعار له (المشبه) نلاحظ أنه غير متحقق لا حساً ولا عقلاً وذلك من خلال إثبات اليد للمعروف فتكون الاستعارة تخيلية ، وفي البيت الثالث فقد شبه الشاعر لحاق الموت به بالسقي بجامع الوصول في كل منهما ، وقد استعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم اشتق من السقي (سقى) والقرينة نسبة السقي إلى الردى ، وشبه الموت بإنسان له ثنانيا يضحك منها فتلمع وتضيء والجامع البريق واللمعان ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذف المشبه به وأبقى على قرينة تدل عليه وهي (الثنانيا) على سبيل الاستعارة المكنية ، والمستعار له في هذه الاستعارة وهو (الموت) غير متحقق لا حساً ولا عقلاً وذلك من خلال إثبات الثنانيا له وبذلك يكون تحقيقه عن طريق التخيل فتكون الاستعارة تخيلية ، وفي البيت الأخير شبه الشاعر العيون بالنهر والجامع بينهما الصب الكثير ، في كل منهما ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو فاض على سبيل الاستعارة المكنية وكلمة (فاض) هي القرينة وهي استعارة تخيلية لأن المستعار له غير متحقق لا حساً ولا عقلاً ، وفي البيت أيضاً استعارة تصريحية إذ شبه السرور بالضحك .

¹ شرح ديوان أبي تمام ، ج2 ، ص218

الاستعارة الأصلية: وهي الاستعارة التي تكون في أسماء الأجناس غير المشتقة ويكون معنى التشبيه داخلاً في المستعار دخولاً أولياً⁽¹⁾ ويقول عنها السكاكي (هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وقيام وعود ، ووجه كونها أصلية هو أن الاستعارة مبناه على تشبيه المستعار بالمستعار منه)⁽²⁾ مثل قوله تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)⁽³⁾ وقوله تعالى (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا تستضيئوا بنار المشركين) فالنار مستعارة لرأيهم ومشورتهم بجامع الاسترشاد في الطرفين ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية لأن المستعار اسم جنس غير مشتق والقرينة هنا حالية ، لأن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا ينهى عن الاستضاءة بأي نار وإنما قصد ما يشبهها من الرأي والمشورة ومن الشواهد الأخرى على هذا النوع من الاستعارة قول مسكين الدرامي⁴ :

لحافي لحافي الضيف والبيت بيته ولم يلهنى عنه غزال مقنع

وقول البحتري⁵:

يؤدون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان باد

وقول المتنبي⁽⁶⁾:

أحبك يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفراق

وقول ابو يعلى التنوخي :

بكت لؤلؤاً رطباً ففاضت مدامعي عقيقاً فصار الكل في نحرها عقدا

وقول امرئ القيس⁽⁷⁾:

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

¹ نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ص 89

² مفتاح العلوم 179

³ النساء 173

⁴ ديوان شعر مسكين الدرامي، ت كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط1، 2000، ص69

⁵ ديوان البحتري، ت حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3، ج2، ص726

⁶ ديوان المتنبي ج1 ص262

⁷ ديوان امرئ القيس ص 106

ومن ذلك قول الفرزدق : (1)

هزير تفادى الأسد من وثباته له مربض عنه يحيد المسافر

وقوله أيضاً(2)

أنا ابن خندق الحامي حقيقتها قد جعلوا في يدي الشمس والقمر

وقوله أيضاً : (3)

فإن تكن لمتي قد أمست قد انطلقت فقد أصيد بها الغزلان والبقر

وعودة للشواهد السابقة فإننا نجد أن الاستعارة في البيت الأول تتحقق في كلمة (غزال) إذ شبه الشاعر المرأة بالغزال والجامع بينهما جمال الجيد والعين والرشاقة ، وذلك على سبيل الاستعارة التصريحية ، وإذا نظرنا إلى اللفظ المستعار فإننا سنجد اسم جنس غير مشتق وبذلك تكون الاستعارة أصلية ، وهي أيضاً تحقيقية وذلك لأن المشبه (المستعار له) وهو المرأة متحقق حساً وقد ذكر الشاعر ما يؤكد ويوضحه وهو قوله مقنع فهذه الصفة توضح المشبه ، وفي بيت البحري نجد الاستعارة في كلمة (قمر) إذ يشبه الشاعر الخليفة بالقمر والجامع بينهما السمو والضياء وهي استعارة تصريحية لأن الشاعر قد حذف المشبه وهو الخليفة وأبقى على المشبه به وهو (قمر) وهي استعارة تحقيقية لأن المستعار له (المشبه) وهو الخليفة متحقق حساً وقد ذكر ما يؤكد ويوضحه وهو قول الشاعر (من الأيوان باد) وإذا نظرنا إلى لفظ الاستعارة وهو (قمر) فإننا سنجد اسم جنس غير مشتق وبذلك تكون الاستعارة أصلية ، وفي البيت الثالث الذي يمدح فيه المتنبي سيف الدولة، فإنه يشبه ممدوحه بالشمس والبدر معاً والجامع بينهما السمو والرفعة والنور والاستعارة هنا تصريحية لأنه حذف المشبه وهو الممدوح وأبقى على المشبه به وهو (الشمس والبدر) ولما كان المستعار له متحقق حساً فإن الاستعارة تكون تحقيقية ، وعودة إلى المستعار فإننا نجده اسم جنس وهو (الشمس والقمر) وبذلك تكون الاستعارة أصلية ، وفي البيت الرابع نجد عدة استعارات فالاستعارة الأولى عندما شبه الدمع المتساقط من عينيها بالؤلؤ والجامع بين المستعار له والمستعار منه البياض وهي استعارة تصريحية لأنه حذف المشبه وأبقى المشبه به ، والاستعارة الثانية عندما شبه الدمع النازل من عينيها

¹ ديوان الفرزدق شرح علي فاغور ، دار الكتب العلمية بيروت ص 183

² ديوان الفرزدق ص 203

³ ديوان الفرزدق ص 204

بالعقيق والجامع بينهما الحمرة وهي استعارة تصريحية أيضاً والقرينة في الاستعارة الأولى بكت وفي الثانية ، فاضت وكلتا الاستعارتين أصليتان لأن اللفظ المستعار في كل منهما اسم جنس وهما (اللؤلؤ) و (عقيق) وفي البيت استعارة أخرى وهي في كلمة (فاضت) وهي استعارة مكنية إذ شبه المدامع بالنهر فحذف المشبه به وهو النهر وأبقى على قرينة تدل عليه وهي كلمة (فاضت) وهي استعارة تبعية لأنها وقعت في مشتق وهو (فاضت) وفي البيت الخامس تتحقق الاستعارة في كلمة (غضت) إذ شبه الشاعر امرئ القيس المرأة التي جذبها إليها وعصرها بالغصن والجامع بين المستعار له والمستعار منه هو الليونة والرقعة ، وهي استعارة تصريحية لأنه حذف المشبه وأبقى على المشبه به (غصن) وهذه الاستعارة أصلية لأنها وقعت في اسم جنس غير مشتق وهو (غصن) .

وفي بيت الفرزدق الأول الذي يفخر به بنفسه نجد الاستعارة تتحقق في كلمة (هزبر) وهو الأسد فقد استعار الشاعر هذه الكلمة لنفسه والجامع بينهما الشجاعة والمهابة ، والاستعارة هنا تصريحية لأن المشبه محذوف وهو الشاعر نفسه والمشبه به موجود وهو (هزبر) والاستعارة تحقيقية لأن المستعار له متحقق حساً وهي أصلية لأنها وقعت في اسم جنس غير مشتق وهو كلمة (هزبر) وفي البيت الثاني الذي يدور في الفخر أيضاً يشبه الفرزدق المجد والرفعة بالشمس والقمر على سبيل الاستعارة التصريحية إذ حذف المشبه وهو كما قلنا المجد والرفعة والهيبة وأبقى على المشبه به وهو (الشمس والقمر) والجامع بينهما السمو والرفعة ، والاستعارة تحقيقية لأن المستعار له متحقق عقلياً وهي استعارة أصلية لأن لفظ الاستعارة وقع في الاسم غير المشتق وهو اسم جنس (الشمس والقمر) وفي البيت الثالث والآخر للفرزدق يستعير الشاعر لفظتي (الغزلان) و (البقر) للنساء على سبيل الاستعارة التصريحية ، إذ يشبه النساء بالغزلان والبقر ويحذف المشبه ويبقى على المشبه به والجامع بينهما جمال الجيد والرشاقة وجمال العين ووسعها والاستعارة أصلية لأنها وقعت في اسم الجنس غير المشتق وهو (الغزلان) و (البقر) .

الاستعارة التبعية : وهي ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف⁽¹⁾ أي أن لا يكون التشبيه داخلاً دخلاً أولياً ، ويرى القزويني أن الاستعارة تعتمد التشبيه ، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً، وإنما يصلح للموصوفية الحقائق كما في " جسم أبيض " و "

(1) مفتاح العلوم 169

ببياض صاف" دون معاني الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف (1)، ومثالها قوله تعالى (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) (2) فالاستعارة موجودة في كلمة " ليكون " إذ شبه العداوة والحزن على الالتقاط بترتيب غلبة الغائبة عليه، ثم استعير في المشبه اللام الموضوع للمشبه ، فالاستعارة في حرف " اللام " ومن ذلك قوله تعالى (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) (3) فالاستعارة في الفعل " طغى " إذ شبه زيادة الماء وارتفاعه بالطغيان فاستعارة الفعل طغى للفعل زاد على سبيل الاستعارة التصريحية وهي تبعية لأنها وقعت في الفعل والجامع بينهما مجاوزة الحد ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى (وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا) (4) إذ استعار التقطيع إلى التفريق واستقامت التقطيع الفعل (قطع) على سبيل الاستعارة التصريحية إذ شبه تفريقهم بالتقطيع وحذف المشبه وهو التفريق وأبقى على المشبه وهو التقطيع وهي تبعية لأنها وقعت في الفعل، ومن الشواهد القرآنية الأخرى قوله تعالى (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً) (5) وقوله تعالى (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) (6) وقوله تعالى (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) (7) ففي الآية الأولى تتحقق الاستعارة في كلمة (ختم) التي استعارها للمنع إذ شبه منع الهداية إلى قلوب الذين كفروا بالختم والطبع على الأشياء الحسية وهي استعارة تصريحية لأن المشبه هو المنع محذوف والمشبه به وهو الفعل (ختم) ، موجود وهي تبعية لأنها وقعت في الفعل (ختم) ، وفي الآية الثانية استعار النقص إلى العهد وهو في الأصل إلى الحبل إذ شبه العهد بالحبل وحذف الحبل وأبقى على قرينة تدل عليه وهي في الفعل (ينقضون) على سبيل الاستعارة المكنية وهي تبعية لأن الاستعارة وقعت في الفعل (ينقضون) وفي الآية الثالثة تتحقق الاستعارة في كلمة (محيط) إذ استعار الإحاطة إلى جمعه إياهم وإحلاله العقوبة بهم بجامع عدم الفوات والفرار والقبض الشديد في الطرفين وهي استعارة تصريحية لأن المشبه (الجمع) محذوف والمشبه به موجود وهي استعارة تبعية لأنها وقعت في اسم مشتق وهو الصفة (محيط) .

قرينة الاستعارة التبعية :

(1) التلخيص 315

(2) القصص 8

(3) الحاقة 11

(4) الأعراف 168

(6) البقرة 7

(6) البقرة 127

(7) البقرة 19

من خلال تتبعنا لهذا النوع من الاستعارة التي تتحقق في الأفعال والمشتقات والحروف والتي تقوم على المشابهة بين المستعار والمستعار منه فضلاً عن القرينة التي تصرف اللفظ المستعار عن إرادة ما وضع له وجدنا أن القرينة في الأفعال والصفات تعود إلى الفاعل كما في قولهم (أنطقت الحال) وقوله تعالى (إنا لما طغى الماء)⁽¹⁾ وذلك لأن الطغيان والنطق من شأن الإنسان ، وقد تكون على نائب الفاعل كما في قوله تعالى (ضربت عليه الذلة والمسكنة)⁽²⁾ فالاستعارة في قوله (ضربت) فقد استعار هذا الفعل للذلة والمسكنة وهو في الأصل للخيام فشبه الذلة والمسكنة بالخيام وحذف الخيام وأبقى على قرينة تدل عليه وهي الفعل (ضرب) على سبيل الاستعارة المكنية وهي تبعية لأنها وقعت في الفعل (ضرب) ومدار القرينة في هذه الاستعارة على نائب الفاعل وهو في الأصل الخيام لا الذلة أو المسكنة وقد تدور القرينة على المفعول به مثل قول ابن المعتز⁽³⁾

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السماحا

فقد شبه إزالة البخل بقتله وإذاعة السماح بإحيائه ثم استعار القتل لإزالة البخل واشتق منه (قتل) بمعنى أزال واستعير الأحياء لإذاعة السماح واشتق منه (أحيا) بمعنى أذاع وقرينة كل منهما ، إيقاع الفعل(قتل) على البخل وإيقاع الفعل (أحيا) على السماح لأن هذين الفعلين لا يقعان إلا على ذي روح والبخل والسماح ليسا كذلك ، وعلى هذا التأويل تكون استعارة تصريحية وهي تبعية لأنها وقعت في الأفعال (قتل ، أحيا) والقرينة دارت على المفعول وهو (البخل) و (السماح) وقد تكون هذه الاستعارة مكنية باعتبار أن الشاعر شبه البخل والسماح بالإنسان وحذف الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي الأفعال(قتل ، وأحيا) وقد تتعلق القرينة بالمفعول الثاني كما في قول كعب بن زهير⁽⁴⁾

صَبَحْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مَرَهَفَاتٍ أَبَادْ ذَوِي أُرُومَتِهَا ذُؤُوهَا

فالاستعارة تتحقق في قول الشاعر صبحنا فقد استعار هذه الكلمة وهي الفعل الذي يمثل الصباح لضربهم بالسيوف المراهفات على سبيل الاستعارة المكنية إذ حذف المشبه به وهو التحية وأبقى على قرينة تدل عليها وهي الفعل (صبحنا) وهذه القرينة تعلق بالمفعول الثاني وهو(مرهفات)

⁽¹⁾ الحاقة 69

⁽²⁾ البقرة 61

⁽³⁾ ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت، ص141

⁽⁴⁾ ديوان كعب بن زهير، ت علي فاغور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص104،

وبذلك تكون الاستعارة مكنية لأن المشبه به محذوف وتبعية لأنها وقعت في الفعل وقد تتعلق القرينة بالفاعل والمفعولين كما في قول الشاعر: (1)

تقري الرياح رياض الحزن مزهرة إذا سرى النوم في الأجفان أيقاظا

فالجفن هو للعين والسيف والشاعر استعاره لأكمام الزهر بجامع التغطية في كل منهما (وايقاظ) مصدر الفعل (يقظ) وهو مستعار لتفتح الأزهار وإظهار النضرة والبهجة فيها والاستعارة الأولى تصريحية أصلية لأن المشبه به موجود وهو (الأجفان) والمشبه محذوف وهو غطاء الزهر، والاستعارة وقعت في اسم جنس، أما الاستعارة الثانية فهي تصريحية تبعية لأنها وقعت في الاسم المشتق وهو المصدر (إيقاظا) وفي الشطر الأول هناك استعارة أيضاً فقد استعار القرى لأحداث الرياح تحركاً في الرياحين على سبيل الاستعارة التصريحية وقد تكون مكنية على أنه شبه الرياح بالإنسان وحذف الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي الفعل (تقرى) وهي استعارة تبعية لأنها وقعت في الفعل وقد لاحظنا في هذا الشاهد تعلق القرينة وهي الفعل (تقرى) بالفاعل وهو الرياح والمفعولين وهما (رياض الحزن) و (أيقاظاً) والمجرور وهو (الأجفان) وقد تتعلق القرينة بالمفعولين مثل قوله تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا) (2) وقول الشاعر :

وأقرى المسامع إما نطق ت بياناً يقود الحرون الشموسا

والحرون الشموس الذي لا يطيع أحداً قط ، فاستعار القرى لإلقاء البيان في الأذان ، والقرينة هي إيقاع الفعل (قرى) على مفعوليه (الأسماع ، بياناً) والاستعارة هي تصريحية تبعية لأنها وقعت في الفعل ، وقد تتعلق القرينة بالجار والمجرور كما في قوله تعالى (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (3) وقوله تعالى (فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) (4) وقوله تعالى (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ) (5) ففي الآية الأولى استعار التبشير للوعيد ، وهذا ما يؤكد الجار و المجرور (بعذاب) ، فالتبشير بما يسر لا يناسب تعلقه بالعذاب فتكون الاستعارة هنا تصريحية و تبعية لأنها وقعت في الفعل ، والقرينة متعلقة بالجار والمجرور (بالعذاب) ، أما الآية الثانية فقد استعار الصدع ، وهو للمحسوس ، للمعنوي وهو الأمر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، أما القرينة فهي متعلقة بالجار والمجرور أيضاً ، وهو قوله تعالى (بما

(1) مفتاح العلوم 143 وما بعدها

(2) الأعراف 168 .

(3) آل عمران 21 .

(4) الحجر 94 .

(5) الأنبياء 18 .

تؤمر) ، وهذا الأمر يتكرر في الآية الثالثة إذ يستعير القذف وهو للمحسوس، إلى المعنوي وهو الحق ، وهي استعارة تصريحية تبعية أما القرينة فيها فهي متعلقة بالجار والمجرور .

ومن شواهد القرآنية الأخرى تتحقق فيها الاستعارة التبعية في الحرف قوله تعالى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)⁽¹⁾ وقوله تعالى (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ)⁽²⁾ وقوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)⁽³⁾ وقوله تعالى (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)⁽⁴⁾ ففي الآية الأولى الاستعارة في الحرف (في) فقد شبه مطلق ارتباط بين مستعل ومستعل عليه ، بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف بجامع التمكن في الاثنين وهي استعارة تبعية لأنها وقعت في الحرف وهي تصريحية ، أما الآية الثانية فالاستعارة وقعت في الحرف (على) فقد شبه مطلق ارتباط بين مهدي وهدى بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعل عليه بجامع مطلق الارتباط في كل وتكون الاستعارة تصريحية وتبعية أيضا ، وفي الآية الثالثة شبه تمكّن الرسول صلى الله عليه وسلم من الهدى والأخلاق الشريفة والاثبات عليها بتمكين من علا دابه يصرفها كيف يشاء بجامع التمكن والاستقرار في الطرفين والقرينة فيها هي الضلال، ومن شواهد الاستعارة التبعية الشعرية نذكر قول أبي نواس⁽⁵⁾

الورد يضحك والأوتار تصطخب الناي يندب أحيانا وينتخب

وقوله أيضا⁽⁶⁾

أخلق الحب لانقطاع التصابي وتدس الرّشا إلى الكتاب

وقوله أيضاً⁽⁷⁾

ما طار طرفي من تحصيل صورته ألا تداخلني من حسنها عجب

وقول الفرزدق⁽⁸⁾

⁽¹⁾ طه 71.

⁽²⁾ البقرة 5

⁽³⁾ القلم 4

⁽⁴⁾ الأعراف 60

⁽⁵⁾ ديوان أبي نواس ص 64

⁽⁶⁾ ديوان أبي نواس ص 71

⁽⁷⁾ ديوان أبي نواس 79 .

⁽⁸⁾ ديوان الفرزدق ص 457

وقد يركب الموت الفتى من مضيمة إذا لم يكن إلا إلى الموت مزحل

وقوله (1) :

أكل السنون بلادنا فتركناها جرداً ، وكل بهيمة في الهزل

وقوله (2) :

برى العجم أقواماً فرقت عظامهم وأبدى صقالي وقع أبيض صارم

وقوله (3) :

نعجل بالمغبوط عجل من القرى ونخضب أطراف العوالي من الدم

ففي بيت أبي نواس الأول هناك أربع استعارات وهي استعارة الضحك للورد واستعارة الاصطخاب للأوتار والندب للنادي والانتخاب للنادي أيضاً وجميع هذه الاستعارات يمكن تأويلها على أنها تصريحية فيكون الشاعر قد شبه تفتح الورد بالضحك ونغمة الأوتار بالاصطخاب وصوت الناي بالندب والانتخاب فحذف المشبه في جميع هذه الاستعارات وأبقى على المشبه به، ويمكن تأويلها بالمكنية على أن الشاعر شبه الورد بالإنسان فحذف الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهو الفعل (يضحك) وفي الاستعارة الثانية أيضاً شبه الأوتار بالإنسان وحذف الإنسان وأبقى على قرينتين وهي الفعل (تصطخب) وكذلك الحال بالنسبة للناي في الاستعارتين الأخيرتين فقد شبهه بالإنسان وحذف الإنسان وأبقى على قرينته وهي الفعل (ينذب) مرة والفعل ينتحب مرة أخرى ، وجميع هذه الاستعارات تبعية لأنها وقعت في الأفعال ، وفي البيت الثاني يستعير الشاعر أبو نواس الفعل (أخلق) أي تهري لانتهاء الحب والجامع بينهما الانتهاء وهو استعارة تصريحية من هذه الجهة لأنه حذف الشبه وأبقى على المشبه به ، ومكنية من جهة تشبيه الشاعر الحب بالثوب وحذف الثوب وأبقى على قرينة تدل عليه وهي الفعل (أخلق) والاستعارة في الحالتين هي تبعية لأنها وقعت في الفعل (أخلق) وفي البيت الثالث يستعير أبو نواس الفعل (طار) للنظرة السريعة التي يطلقها من عينه إذ يشبه هذه النظرة بالطيران ويشق منه الفعل (طار) ويسنده للنظرة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية

(1) ديوان الفرزدق ص 465

(2) ديوان الفرزدق 542

(3) ديوان الفرزدق ص 546

لأنها وقعت في الفعل ، وقد تكون على سبيل الاستعارة المكنية التبعية وذلك بأن يكون الشاعر قد شبه طرفه بالطير وحذف الطير وهو المشبه به وأبقى على قرينة تدل عليه وهو الفعل (طار) .

وفي البيت الخامس يستعير الفرزدق الأكل للخراب الذي خلفه الجفاف ويشق منه الفعل اكل على سبيل الاستعارة التصريحية وذلك لأنه شبه الخراب بالأكل وهي تبعية لأنها وقعت في الفعل وهذه الاستعارة قد تكون مكنية وذلك بأن يكون الشاعر قد شبه السنون بالسبع أو الوحش وحذف المشبه به وأبقى على قرينة تدل عليه وهي الفعل (أكل) أما في البيت الرابع الذي قبله فقد استعار الفرزدق الركوب للاختبار إذ شبه اختبار الموت من قبل الفتى في بعض الأحيان بالركوب وقد اشتق من الركوب الفعل ركب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ولكن قد يكون الشاعر قصد تشبيه الموت بالدابة وحذف الدابة وهي المشبه به وأبقى على قرينة تدل عليه وهي الفعل (يركب) فتكون عند ذاك الاستعارة مكنية ، وفي البيت السادس يستعير الفرزدق البري للاختبار إذ يشبه الاختيار بالبري ويشق من البري الفعل (بري) على سبيل الاستعارة التصريحية التي حذف منها المشبه وأبقى على المشبه به، وهي تبعية لأنها وقعت في الفعل ، وفي البيت الأخير يستعير الفرزدق التخضيب لانغماس أطراف الرماح بالدم والجامع بينهما الحمرة إذ شبه انغماس أطراف الرماح بالدم بالتخضيب واشتق منه التخضيب الفعل (تخضب) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية لأنها وقعت في الفعل وقد تكون هذه الاستعارة مكنية من خلال تشبيه أطراف الرماح بالأصابع وحذف الأصابع وأبقى على قرينة تدل عليه وهو الفعل (نخضب) لأن التخضيب لا يكون لأطراف الرماح بل لأصابع اليد .

ومن شواهد هذه الاستعارة في الشعر الحديث قول الجواهري (1)

ألم تجدي والدهر نشوان طالع على الناس بالأفراح إلا المآسيا

وقوله أيضاً :

ثم قالت بطرفها بعد لأي عن طريق سهل وصلت إليها

وقول الشاعر أدونيس : (2)

(1) ديوان الجواهري ، دار العودة ، بيروت ، ج 7 ص 302
(2) الكتاب أمس المكان الآن ج 1 ص 77

مل قليلاً ، تقدم مكانك : ذكرى

ها هنا خاصمتني دروب

ها هنا صالحتني لغات

وهناك افترشت التراب ، هناك غنت خيمة

أغنياتي

وقول الشاعر عبد الرزاق الربيعي من قصيدة (تقاطع): (1)

عند إشارات الضوء

وتحت مظلة شرطي مرور الثامنة صباحاً

تتقاطع احلام " مها "

حيث تشبع الفتنة في الميدان

هبت

فتراجفت الأغصان

ففي بيت الجواهري تتحقق الاستعارة في قوله " والدهر نشوان " اذ استعار الانتشاء لحوادث الدهر وهي استعارة تصريحية تبعية لأنها وقعت في المشتق وهو(نشوان) وقد تكون الاستعارة مكنية على اعتبار أن الشاعر شبه الدهر بالإنسان وحذف الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي كلمة (نشوان) أن الانتشاء لا يكون للدهر بل للإنسان ، أما البيت الثاني فالاستعارة تتحقق في قول الجواهري (قالت بطرفها) إذ شبه النظرة بالقول على سبيل الاستعارة التصريحية واشتق من القول الفعل (قالت) وهي استعارة تبعية لأنها وقعت في الفعل ، أما في قصيدة أدونيس فإن هناك عدة استعارات الأولى في قوله (خاصمتني الدروب) والثانية في قوله (صالحتني لغات) والثالثة في قوله (افترشت التراب) والرابعة قوله (غنت خيمة) ففي الاستعارة الأولى شبه الدروب بالإنسان وحذف

(1) موجز الأخطاء شعر ص 41

الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي الفعل (خاصم) على سبيل الاستعارة المكنية التبعية وهذا الأمر يتكرر في الاستعارة الثانية من خلال الفعل (صالح) على سبيل الاستعارة التبعية وفي الاستعارة الثالثة يتكرر الأسلوب نفسه إذ يشبه التراب بالفراش ويبقى على قرينة تدل عليه وهو الفعل (افترش) وكذلك الحال في الاستعارة الرابعة إذ يشبه الخيمة بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقى على قرينة تدل عليه وهي الفعل (غنى) وفي قصيدة الربيعي نجد استعارتين الأولى عند ما يشبه الشاعر اجتماع الأحلام بالتقاطع إذ يستعير التقاطع لاجتماع الأحلام وتزاحمها على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية لأنها وقعت في الفعل (تتقاطع) أما الاستعارة الثانية فتتحقق في قوله (تراجفت الأغصان) إذ يستعير (الارتجاف) لحركة الأغصان بجامع الحركة إذ يشبه حركة الأغصان بالارتجاف ويشترك منه الفعل (تراجفت) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية لأنها وقعت في الفعل والملاحظ على استعارات الشعر الحديث غرابتها وغموضها أحياناً وتكثيف المعنى فيها إذ يحتاج السامع أو المتلقي إلى كد الذهن وأعمال الخيال من أجل الوصول إلى الغاية والقصد من هذه الصور الاستعارية فغالباً ما يقرب الشعراء المحدثون بين المتباعدات ، وللوصول إلى العلاقة بينهما لا بد من تأويل يستند إلى ثقافة عالية .

الاستعارة الوفاقية: وهي الاستعارة التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم وجود التنافي بينهما (1) كما في قوله تعالى (أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ) (2) أي ضالاً فهديناه ففي الآية استعارتان، الأولى: في كلمة (ميتاً) التي استعارها للضلال ، إذ شبه الضلال بالموت بجامع ترتب نفي الاجتماع في الطرفين فاستعير الموت للضلال واشتق من الموت (ميت) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية العنادية ، وذلك لعدم إمكان اجتماع الموت والضلال في شيء واحد . أما الاستعارة الثانية فهي في الفعل (أحييناه) إذ استعير الأحياء للهداية ، وهي تصريحية تبعية ونظراً لإمكان اجتماع الأحياء والهداية في الله عز وجل فهي وفاقية .

الاستعارة العنادية: وهي الاستعارة التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لتنافييهما كاجتماع النور والظلام (3) ويعد القزويني التهكمية والتلميحية من العنادية فيقول " ومنها ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتنزيل التضاد أو التناقض منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تلميح " (4) ويرى

(1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ج 1 ص 174

(2) الأنعام 122

(3) جواهر البلاغة 351

(4) التلخيص 309

العلوي أن التهكم في اللغة عبارة عن شدة الغضب على المتهم لما فيه من إسقاط أمره وخط منزلته وحاله ، وهو كثير التداول في القرآن الكريم خاصة عند ذكر الكفار وأهل الشرك والنفاق⁽¹⁾ مثل قوله تعالى (فَلَمَّا أَسْفَوْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ)⁽²⁾ . وكان الفراء قد أشار إلى هذا الأسلوب في القرآن وقال وقوله تعالى (فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ)⁽³⁾ فالإثابة هنا بمعنى العقاب مثل قول الفرزدق⁴ :

أخاف زياداً أن يكون عطاؤه أداهم سوداً أو محدرجة سمرأ

وقد يقول الرجل الذي اجترم إليك : (لئن أثبتتني لأثيبنك ثوابك) ومعناه لأعاقبك وربما أنكره من لا يعرف مذاهب العربية وقد قال الله تبارك وتعالى (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)⁽⁵⁾ - والبشارة انما تكون في الخير ، فقد قيل ذلك في الشر⁽⁶⁾ وقد نظر ابن جني إلى هذا الأسلوب بمثل ما نظر إليه البلاغيون إلى المجاز المرسل إلى اعتبار ما كان فقال تعليقاً على قوله تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)⁽⁷⁾ إنما هو في النار الذليل المهان لكنه خوطب بما كان يخاطب في الدنيا ، وفيه مع هذا ضرب من التبكيث له والأذكار بسوء فعالة⁽⁸⁾.

ويقول السكاكي في حديثه عن الاستعارة التلميحية " هي استعارة اسم أحد الضدين أو النقيضين للأخر بواسطة انتزاع شبه التضاد وإحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم والتلميح ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر والأفراد بالذكر ونصب القرينة "⁽⁹⁾ . ومن أمثلة هذا النوع من الاستعارة قوله تعالى (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ)¹⁰ إذ استعار الحليم الرشيد للسفيه القوي على وجه الاستهزاء وقوله تعالى (فَاهْذُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ)¹¹ .

⁽¹⁾ الطراز ج 1 ص 47

⁽²⁾ الزخرف 55

⁽³⁾ آل عمران 153

⁽⁴⁾ ديوان الفرزدق، ص 169

⁽⁵⁾ آل عمران 21

⁽⁶⁾ معاني القرآن ج 1 ص 247

⁽⁷⁾ الدخان 49

⁽⁸⁾ المحتسب ج 1 ص 101

⁽⁹⁾ مفتاح العلوم 177

⁽¹⁰⁾ سورة هود 87

⁽¹¹⁾ الصافات 23

الاستعارة العامية : وهي الاستعارة القريبة المبتذلة التي أصبحت أقرب إلى الحقيقة فلا نحتاج إلى بحث وكد للذهن للوصول إلى مقصدها ، ويكون الجامع فيها ظاهراً مثل : رأيت أسداً يرمي وكقول ابن نباتة السعدي¹:

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا

فقد استعار الثريا لغرة المهر والجامع بين الطرفين ظاهر وهو البياض ، وهذا استعمال مكرر بشكل كبير حتى عاد كالحقيقة ، ويرى القزويني أنها التي يظهر فيها الجامع ⁽²⁾ ، ويحددها الجرجاني بأنها الاستعارة التي ينقل فيها الاسم عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت ومعلوم ويجري عليه ويجعل متناولاً له تناول الصفة للموصوف وذلك مثل (رأيت أسداً) أي رجلاً شجاعاً و(عنت لنا ظبية) أي امرأة ⁽³⁾ .

الاستعارة الخاصة:

وهي الاستعارة الغريبة التي لا يظفر بها إلا من ارتفع عن طبقة العامة، أو هي التي لا يظهر فيها الجامع إلا بدقة كقول الشاعر طفيل الغنوي⁽⁴⁾:

وحملت كوري فوق ناجية يقات شحم سنامها الرجل

فقد استعار الاقتيات ، لإذهاب الناقة شحم سنامها والشحم مما يقتات (يؤكل) بجامع النقص المترتب على كل منها فالعلاقة بين هزال الناقة وذوبان شحم سنامها من متاعب الأسفار وبين الاقتيات المسند إلى الرجل (المستعار) بعيدة وبذلك جاءت الاستعارة خفية غريبة بعيدة وخاصة بعض الشيء لأن التخييل فيها مكثف وعلى مستوى عال وتحتاج ثقافة عالية وفكر ثاقب للوصول إليها ومن أمثلة ذلك أيضاً قول ابن المعتز⁽⁵⁾

يناجيني الإخلاف من تحت مظهه فتختصم الآمال واليأس في صدري

فالاستعارة في قوله (تختصم الآمال واليأس) على سبيل الاستعارة المكنية التبعية ، وهي بعيدة بعض الشيء، وتحتاج إلى تأويل من أجل الوصول إلى العلاقة بين المستعار له ولمستعار منه، ومن شواهد الخاصة أيضاً قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك في وصف فرس ⁽⁶⁾ إذ يقول:

¹ يتيمة الدهر ، الثعالبي ، ج 2 ، ص 292

² التلخيص 310

³ أسرار البلاغة 38 .

⁴ - ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، ت حسان فلاح، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، ص137

⁵ -المصدر نفسه ج 1 ص 160

⁶ -المصدر نفسه ج 1 ص 160

إهماله وكذاك كل مخاطر

عودته فيما أزور حبابي

علك الشكيم إلى انصراف الزائر

وإذا احتبى قربوسه بعنانه

إذ شبه هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج أي حنوه بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المحتبى، وفي هذا التشبيه غرابة لأن الوصف أو وجه الشبه غير متحقق بشكل واضح في الطرفين وقد اشترط علماء البلاغة في الخاصية ألا تكون الغرابة إلى حد الانغلاق أي تبعد إلى أن تصل إلى مستوى تختفي فيه عن الإفهام ومن هذه الاستعارات الغريبة قول أحد الشعراء⁽¹⁾

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغواني

وجوّ زاهرٍ للريح فيه نسيم لا يروع التراب واني

فالاستعارة في البيت الثاني الذي أراد أن يصف فيه النسيم والعليل في الصحراء الواسعة المنفتحة فاستعار الشاعر الروع أو الفزع لإثارة الريح التراب بجامع التحريك في كل منها، والوصول إلى هذه الصفة المشتركة أو الجامع يحتاج إلى كد في الذهن وتأويل دقيق ومن ثم كانت الاستعارة معه دقيقة وبعيدة ونادرة يصعب الوصول إلى القصد فيها ، وقد تتحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل مثل قول امرئ القيس⁽²⁾

فقلت له لما تظمى بصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلل

إذ أراد الشاعر وصف الليل فاستعار له صلباً يتمطى به، إذ كان كل ذي صلب يزيد في طوله عند تمطيه والصلب عظم في الظهر وذو فقار يمتد من الكاهل إلى أسفل الظهر وبالعكس الشاعر في طوله بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً والأعجاز جمع عجز وهو مؤخرة الشيء أو مؤخرة الجسم فالصلب مستعار لوسط الليل والإعجاز مستعار لأواخره والكلل مستعار لأوله وهذه الاستعارات التي جمع بينها الشاعر جعلت الاستعارة تميل إلى الغرابة بعض الشيء ويقول الجرجاني عن هذا البيت لما جعل الليل صلباً قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصلب وثلاث فجعل له كللاً قد ناء به فاستوفى له جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من سواده إذ نظر قدماه وإذا نظر إلى خلفه وإذا رفع البصر ومدّه في عرض الجو⁽³⁾ ومن الاستعارة الخاصة التي وقف عندها الجرجاني واستحسنها قول الشاعر⁽⁴⁾:

¹ - الحماسة البصرية ، ج 3 ، ص 1076

² - شرح ديوان امرئ القيس ص 42.

³ - دلالة الإعجاز ص 63

⁴ - أسرار البلاغة ص 16

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو مسح
وشدت عى دهم المهاري رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو راح
أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

إذا يقول الشاعر: لما قضينا مناسكنا كلها في منى ومسح بأركان الكعبة من أراد ذلك، وشدت رحالنا على نوقنا السوداء المنسوبة إلى مهرة ولم ينظر السائر أول النهار من يسير آخره، أخذنا بأطراف الحديث بيننا لنهون على أنفسنا مشقة الطريق وجرت بنا نوقنا ، في الأباطح (وهي جمع بطحاء) ومسيل واسع فيه رمل وحصى صغير، والاستعارة الموجودة في البيت الأخير إذ أراد أن يقول فيها أنها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها ويقف الجرجاني عند هذه الأبيات طويلا فيقول ثم راجع فكرتك واشد بصيرتك، وأحسن التأمل ودع عنك التجوز في الرأي ثم انظر هل تجد لاستحسانهم ومحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا إلا إلى استعارة وقعت موقعها، وأصاب غرضها وحسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع واستقر في الفهم مع وقع العبارة في الأذن ، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو الغير مفيد والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد وشيء داخل المعاني المقصودة مداخله الطفيلي الذي يستغل مكانه وأول ما يتلذذك من محاسن هذا الشعر أنه قال (ولما قضينا من منى كل حاجة) فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها من طريقة أمكنته أن يقصر اللفظ معه وهي طريقة العموم ثم نبه بقوله (ومسح بالأركان من هو مسح) وعلى طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ثم قال (أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا) فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من زمام الركاب وركوب الركبان ثم دل بلفظ الأطراف على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيرا من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه، فصرح أولاً بما أوما إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل وفي حال التوجه إلى المنازل وأخبر بعد بسرعة السير ووطأة الظهر فجعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور إذا كانت وطينة وكان سيرها السريع السهل زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا ثم قال بأعناق المطي ولم يقل بالمطي لأن السرعة والبطء يظهران غالبا في أعناقها وبعد ذلك يقول فقل الآن هل بقيت عليك حسنة تحيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى أن فضل الحسنة يبقى لتلك اللفظة لو ذكرت على الانفراد وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه ورصفه هنا يشير الجرجاني إلى أهمية النظم في إخراج العبارة بالشكل الذي يضمن

نقل المعنى بصورة أجمل وتأثير أقوى في السامع⁽¹⁾ ومن الشواهد الأخرى على الاستعارة النادرة
الخاصية البعيدة أيضاً قول ابن المعتز⁽²⁾

سالت عليه شعاب الحي حين دعا أنصاره بوجود كالدنانير

وقول الشريف الرضي³:

فرعاء إن نهضت لحاجتها عجل القضيب وإبطاء الدعص

ففي البيت الأول أراد الشاعر أن يقول أنه مطاع في الحي وأن قومه يسرعون إلى نصرته وأنه لا يدعوهم لحرب أو نزال خطب، ألا أتوه وكثروا عليه ، وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجري من هنا وهناك وتنصب من هذا وذاك حتى يغص بها الوادي، فاستعار السيول للمجيء السريع من جميع الجهات وإذا كانت هذه الاستعارة واضحة فإن الغرابة تأتي من إسناد الفعل (سال) إلى شعاب الحي فتحوّلت الاستعارة من قريبة عامية إلى بعيدة خاصة تحتاج إلى كد الذهن وإعمال العقل من أجل الوصول إلى الغاية والقصد ، أما في البيت الثاني فإن ابن المعتز يستعير القضيب (الغصن) لقامة المرأة وقد وصفه بالعجلة ، واستعار الدعص (كثيب الرمل المجتمع) لردفها وقد وصفه بالبطء وهاتان الاستعارتان قريبتان إلا أن الشاعر نقلهما إلى فضاء الغرابة والبعد من خلال إسناد العجلة للقضيب والبطء للدعص ، وبذلك تحولت الاستعارتان إلى بعيدتين خاصيتين تحتاجان إلى تأمل وتفكير وتأويل للوصول إلى ما قصد منهما الشاعر ، وقد يكون السبب في غرابة الاستعارة كون الجامع فيها عقلياً كما في قول أبي تمام⁴:

ويصعد حتى لظنّ الجهول أن له منزلاً في السماء

فالشاعر هنا يشبه ارتقاء الممدوح نفسياً بالصعود الحسي ، فالمستعار له معقول والمستعار منه محسوس والجامع بينهما عقلي محض ومثل ذلك قوله تعالى (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)⁽⁵⁾ فالمستعار له هنا كثرة الطوفان ، وهو حسي والمستعار منه هو الصغيان وهو عقلي والجامع بينهما الاستعلاء فالاستعارة غريبة خاصة ومن أمثلة ذلك أيضاً قول كثير⁽⁶⁾.

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً عقلت لضحكته رقاب المال

1 - أسرار البلاغة ص 16 - 17

2 - دلائل الإعجاز ص 59

3 ديوان الشريف الرضي ، شرح يوسف شكري ، دار الجيل بيروت ، ط 1 ، 1995 ، ص 519

4 شرح ديوان أبي تمام ، ج 2 ، ص 200

5 - الحاققة 11

6 - ديوان كثير ، ص 288

فغمر الرداء كثير العطايا والمعروف ، وقد استعار الشاعر الرداء وهو محسوس إلى المعروف العقلي والجامع بينهما الستر المطلق، وأضاف إليه الغمر وهو القرينة التي تمنع من إرادة معنى الثوب لأنه من صفات المال لا من صفات الثوب وبذلك تكون الاستعارة قد ابتعدت ولا يمكن أن يظفر بها إلا ذو الفكر الثاقب والثقافة العالية فهي بعيدة بعض الشيء .

الاستعارة المرشحة :

وتسمى أيضا بالترشيحية وهي التي تقرن بملائم المستعار منه المشبه به، أو هي أن يراعي جانب المستعار ويولي ما يستدعيه ويضم عليه ما يقتضيه (1) ، مثل قوله تعالى (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ) (2) إذا استعير الشراء للاستبدال والاختيار ثم الحق بها ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة ، وقد سميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر الملائم للمشبه به، (3) ومن شواهدا أيضا قول كثير: (4)

رمتي بسهم ريشه الكحل لم يضر ظواهر جلدي وهو في القلب جرح

وقول النابغة : (5)

وصدر أزاح الليل عازب همه تضاعفت الأحزان من كل جانب

ففي البيت الأول استعار الشاعر الرمي للنظر واشتق من الرمي الفعل (رمتي) على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية وبعد ذلك أورد ما يلائم المستعار منه وهو قوله بسهم وفي البيت الثاني فقد استعار الشاعر الفعل أزاح للحركة على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية وهي مرشحة لأنه ذكر ما يلائم المشبه به أو المستعار منه وهو قوله (عازب همه) ومن الشواهد الأخرى على هذه الاستعارة قول الشاعر: (6)

1 - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز 92

2 - البقرة 16 .

3 - جواهر البلاغة 365

4 - ديوان كثير عزة ص 67

5 - ديوان النابغة الذبياني ص 9

6 - الكشف، الزمخشري، دار إحياء التراث، بيروت، ط 2، 2001، ج 2، ص 597

ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمر بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

فقد استعار الرداء للسيف لصيانتة كرامة صاحبه ثم وصفه بالاعتجار وهو وصف للرداء المستعار منه لأن الاعتجار شد الرأس بالعمامة وهذا ما يلائم المستعار منه وبذلك تكون الاستعارة مرشحة ، ومن الشواهد الأخرى على هذا النوع من الاستعارة قول الشاعر¹ :

لا تحسبن بشاشتني لك عن رضا فوحي جودك إنني أتملق

ولئن نطقت بشكر برك مفصلاً فلسان حالي بالشكاية أنطق

وقول البحتري⁽²⁾ :

وأرى المنايا إن رأيت بك شبيهة جعلتك مرمى نبلها المتواتر

وقول لبيد بن ربيعة⁽³⁾ :

صادفت منها غرة فأصبناها إن المنايا لا تطيش سهامها

ففي الشاهد الأول يستعير الشاعر (اللسان) للحال على سبيل الاستعارة المكنية إذ شبه الحال بالإنسان وحذف الإنسان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي كلمة (لسان) وهي أصلية لأنها وقعت في أسم الجنس، وذكر كلمة (انطق) هو ترشيح للاستعارة لأن هذه الكلمة مما يلائم المستعار منه وهو الإنسان فتكون الاستعارة مرشحة ، وفي البيت الثاني يشبه الشاعر المنايا بالإنسان ثم يحذف الإنسان وهو المشبه به ويبقى على قرينة تدل عليه وهو الفعل (رأت) وهي استعارة مكنية ، ويرشح الشاعر هذه الاستعارة من خلال عجز البيت (جعلتك مرمى نبلها المتواتر) وذلك لأنه مما يلائم المشبه به وهو الإنسان فتكون بذلك استعارة مكنية مرشحة، وفي البيت الثالث يشبه الشاعر المنايا بالإنسان ويحذف الإنسان ويبقى على قرينة تدل عليه وهي (السهام) التي يثبتها للمنايا، وبذلك تكون مكنية وهي مرشحة لأنه ذكر ما يلائم المستعار منه المشبه به ، وهو قوله (لا تطيش) وذلك لأن عدم الطيش من ملائمت المشبه به وهو شيء زائد على القرينة.

والاستعارة المرشحة هي المقدمة في هذا الباب أي على المطلقة والمجردة ، إذ يقول المصري أن أجل الاستعارات الاستعارة المرشحة⁽⁴⁾ ، وذلك لاشتغال الترشيح على تحقيق المبالغة

¹ روض الأخبار المنتخب من ربيع الأنوار، ابن الخطيب، محمد فاخوري، دار القلم العربي، ص 201

² - ديوان البحتري ج 215

³ - ديوان لبيد بن ربيعة ص 271

⁴ - تحرير التعبير ص 99

ولذلك كان مبناها على تناسي التشبيه حتى أنه يوضع الكلام في علو المنزلته وضعه في علو المكان كما في قول أبي تمام¹:

ويصعد حتى لظنَّ الجهول أن له منزلاً في السماء

فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمم على إنكاره فيجعله في السماء من حيث المسافة المكانية لما كان لهذا الكلام وجه (2) ، وهذا الترشيح في هذا النوع من الاستعارة يزيد من بعدها واختفاء مدلولها وغايتها فتكون قوية التأثير في المتلقي.

الاستعارة المطلقة: وهي الاستعارة التي لم تقترب بملائم المستعار أو المستعار منه (3) ويعرفها القزويني بأنها التي لم تقترب بصفة ولا تفريع كلام والمراد المعنوية لا النعت (4)، ويرى آخرون بأنها التي لم تقترب بما يلائم المشبه والمشبه به، أو ذكر فيها ما يلائم المشبه والمشبه به (5) وهذا الرأي مقبول لأن اجتماع الترشيح مع التجريد يؤدي إلى الإطلاق مما يؤدي إلى تقوية المشبه والمشبه به معاً ، فذكر ما يلائم المشبه والمشبه به معاً لا يقوي أحدهما على حساب الآخر، وبذلك تبقى الاستعارة وكأنما لم يذكر فيها ما يلائم أحد الطرفين أي مطلقة ، ومن أمثلة هذه الاستعارة قوله تعالى (الَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) (6) فلا يوجد في هذه الاستعارة ما يلائم المشبه أو المشبه به ولذلك فهي مطلقة وكذلك قوله تعالى (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) (7) فقد استعير الموح لاضطراب الناس يوم القيامة واشتق منه الفعل (يموج) بمعنى يضطرب والجامع بينهما شدة الحركة مع الحيرة ولا يوجد في هذه الآية ما يلائم المشبه أو المشبه به وبذلك تكون مطلقة ومن الشواهد الأخرى على هذا النوع من الاستعارة قول الشريف الرضي⁸ :

فرعاء إن نهضت لحاجتها عجل القضيب وابطأ الدعص

وقول الشاعر لبيد بن ربيعة: (9)

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

وقول حسان بن ثابت : (10)

¹ شرح ديوان أبي تمام، ج 2، ص 200

² - معجم المصطلحات البلاغية ج 1 ص 155

³ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 103

⁴ - التلخيص ص 279

⁵ - جواهر البلاغة ص 356

⁶ - البقرة 27

⁷ - الكهف 99

⁸ ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، 1961، ج 1، ص 570

⁹ - ديوان لبيد بن ربيعة ص 176

¹⁰ - ديوان حسان بن ثابت ص 45

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وقول قريط بن أنيف العنبري التميمي¹:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

ففي البيت الأول استعار الشاعر القضيب للقذ والدعص للعجيزة على سبيل الاستعارة التصريحية المطلقة لعدم ذكره ما يلائم أحداً من أطراف الاستعارتين فهما مطلقتان ، أما في البيت الثاني ، فالاستعارة كما مر سابقاً مكنية أصلية ، ولما كان البيت لا يتضمن ما يلائم المستعار له أو المستعار منه أي الإنسان والشمال فإن الاستعارة مطلقة ، أما في البيت الثالث ففيه استعارة مكنية إذ شبه حسان المجد بالبعير وحذف البعير وهو المشبه به وأبقى على قرينة تدل عليه وهي (سنام) وبعد استيفاء القرينة لم نجد ملائماً المشبه والمشبّه به في هذا البيت فلذلك تكون الاستعارة مطلقة، وفي البيت الأخير وصف الشاعر قومه بالمسارعة إلى الشدائد متفرقين كانوا أو مجتمعين، وقد شبه الشر بالسبع وحذف المشبه به (السبع) وأبقى على قرينة تدل عليه وهي قوله (ناجذيه) وهي استعارة مكنية تخيلية ولم يذكر الشاعر ما يلائم المشبه والمشبّه به بعد القرينة فإن الاستعارة تكون مطلقة، وقد تكون الاستعارة مطلقة بذكر ما يلائم المشبه والمشبّه به معاً كما بينا من قبل مثل قول الشاعر: (2)

سفاك وحيانا بك الله إنما على العيس نور والحدود كئامه

فقد استعار الشاعر النور للنساء والقرينة على ذلك قوله (على العيس) والاستعارة تصريحية أصلية وبعد الاستعارة نلاحظ أن الشاعر قد ذكر ما يلائم المشبه (النساء) وهو الحدود وكذلك ذكر ما يلائم المشبه به (النور) وهو (كئامه) فتعارض الترشيح مع التجريد يسقطهما معاً فتبقى الاستعارة مطلقة، ومثل هذا الشاهد أيضاً قول زهير بن أبي سلمى: (3)

لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم

فالشاعر استعار الأسد لممدوحه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، وقد ذكر بعد هذه الاستعارة ما يلائم المشبه وهو قوله (شاكي السلاح) وذكر أيضاً ما يلائم المشبه به وهو قوله (له لبد أظفاره لم تقلم) واجتماع الترشيح مع التجريد أدى إلى إسقاطهما معاً لتبقى الاستعارة مطلقة ، والاستعارة المطلقة أبلغ من التجريد لكنها دون المرشحة.

الاستعارة المجردة:

¹ شرح ديوان الحماسة أبوت تمام، المرزوقي، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ج1، ص23

² - ديوان المتنبي ج2، ص301

³ - ديوان زهير بن أبي سلمى، ت علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988 ص 108

وتسمى التجريدية أيضاً وهي ما كان معتبراً فيها المستعار له⁽¹⁾، أي أنها تكون تجريدية إذا عقيبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفرع كلام ملائم له⁽²⁾. وعرفها القزويني بأنها الاستعارة التي تقرر بما يلائم المستعار له⁽³⁾ ويرى العلوي أن تسميتها بالمجردة جاء لأنك إذا قلت (رأيت أسداً يجدل الأبطال بنصله ويشكك الفرسان برمحه) فقد جردت قولك (اسداً) عن لوازم الآساد وخصائصها ، إذ ليس من شأنها تجديد الأبطال ولا شك الفرسان بالرماح والنصال⁽⁴⁾. ومثال هذه الاستعارة قوله تعالى: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)⁽⁵⁾ فاللباس هنا مستعار لما غشي القرية من العذاب بجامع الإحاطة، وقوله تعالى: (أذاقها) دون كساها يلائم المستعار له (العذاب) لأن المراد بالإذاقة إصابتهم بالعذاب وهذا يعد من قبيل الاستعارة المجردة، ومن شواهد هذا النوع أيضاً قول كثير عزة⁽⁶⁾:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب المال

وقول البحتري⁽⁷⁾:

يؤدون التحية من بعيد إلى قمر من الإيوان باد

ففي البيت الأول استعار الشاعر الرداء للمعروف ، وقد ذكر ما يلائم المستعار له وهو كلمة (غمر) التي تلائم المعروف وهو المستعار له ، أما في البيت الثاني فالقمر مستعار للممدوح بجامع التلألؤ والقرينة هي لفظ (يؤدون) وقوله (من الإيوان باد) يلائم المستعار له (الممدوح) وهذا يعني أنها استعارة تجريدية، والتجريد أضعف الاستعارات أي أضعف من المرشحة ومن المطلقة ، لأن المستعار له (المشبه) يكون أكثر وضوحاً من المستعار منه (المشبه به).

الاستعارة التمثيلية:

سماها القزويني بالمجاز المركب وقال (وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه ، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبه في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه)⁽⁸⁾ ويعرفها أحدهم بأنها تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة

1 - نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ص 92

2 - مفتاح العلوم 182

3 - التلخيص 317

4 - الطراز، العلوي، ج 1 ص 236

5 - النحل 112

6 ديوان كثير عزة، ت، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971، ص 288

7 - ديوان البحتري ص 65

8 - التلخيص ، القزويني 322

المشابهة، مع قرينة مانعة من إيراد معناه الوضعي⁽¹⁾ بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد ومن أمثلة هذه الاستعارة قوله تعالى: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)⁽²⁾ فالمعنى: أن مثل الأرض في تصرفها تحت أمر الله وقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الأخذ له منا والجامع يده عليه، ومن أمثلتها أيضاً ما كتبه الوليد بن يزيد لما بويع إلى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف عن البيعة له (أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فإذا أذاك كتابي هذا فاعتمد أيهما شئت والسلام) إذ شبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام ليذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً وتارة لا يريد فيؤخر أخرى⁽³⁾ ومن أمثلة ذلك أيضاً قول المتنبي⁽⁴⁾:

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأ به الماء الزللاً

وقوله أيضاً: ⁽⁵⁾

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه تصيده الضرغام فيما تصيدا

وقول محمود سامي البارودي:

من ملك البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

وقول الشاعر: ⁽⁶⁾

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وقول بشار بن برد: ⁽⁷⁾

متى يبلغ البنيان يوماً تماماً إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقول الشاعر: ⁽⁸⁾

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

فالبيت الأول يضرب مثلاً لمن لم يرزق الذوق الأدبي لتحسس جمال الأدب فقد شبه المتنبي السامع للشعر وهو لا يمتلك ذوقاً شعرياً بالمريض الذي يصاب بمرارة في فمه فإذا ما شرب الماء العذب وجده مرأً، فهذا التركيب هو مجاز علاقته المشابهة وهو في مجمله يشكل صورة المشبه به، وفي البيت الثاني الذي يضرب لمن يختار إنساناً ويثق به فيخونه، فالمشبه في هذه الاستعارة هو من

1 - جواهر البلاغة ص 385

2 - الزمر 67

3 - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 94

4 - ديوان المتنبي ج 2، ص 209

5 - ديوان المتنبي ج 1، ص 268

6 - جواهر البلاغة ص 360

7 - ديوان بشار بن برد

8 - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، بيروت، ط1، 2003 ص 33

يختار حارساً يثق به فيقتله والمشبّه به هو الذي يتخذ الأسد وسيلة للصيد فيفتنسه الأسد في جملة ما يفتنر ، أما في البيت الثالث فإنه يضرب مثلاً لمن حصل على أموال بغير تعب فيبعثرها والشاعر هنا يشبه الذي يرث أموال فيبعثرها بالذي يستولي على البلاد بدون حرب أو تعب وبذلك يسهل عليه تسليمها للأعداء دون حرب ويكون هذا التشبيه على سبيل الاستعارة التمثيلية لأنه مجاز مركب وفي البيت الرابع يتكرر الأسلوب السابق إذ يمثل البيت مثلاً يضرب عندما يكون الخبر اليقين عند أحد الناس والآخرين لا يصدقون ذلك فيكون البيت عبارة عن صورة للمشبّه به هي صورة منتزعة من عدة أشياء وفي البيت الخامس تتحقق الاستعارة من خلال تشبيه حال المصلح الذي يبدأ الإصلاح فيأتي غيره فيبطل عمله بحال البنيان ينهض به حتى إذا وشك أن يتم جاء من يهدمه والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم تحقيق الغاية على سبيل الاستعارة التمثيلية ولا يختلف البيت الأخير عن الأبيات التي تحدثنا عنها فالبيت عبارة عن مثل هو صورة للمشبّه به الذي يصور به الشاعر حال المشبه عن طريق الاستعارة التمثيلية.

ومن خلال الشواهد السابقة يتضح أن الشواهد على هذه الاستعارة قد تألفت من تركيب استعمل في غير ما وضع له، وأن العلاقة بين معناه الحقيقي ومعناه المجازي هي المشابهة ودائماً تكون هناك قرينة تمنه من إرادة المعنى الحقيقي وينطبق هذا المفهوم على معظم الأمثال والحكم فمتى فشا هذا اللون في الاستعارة سمي مثلاً⁽¹⁾ والاستعارة في الأمثلة التي ذكرناها لم تجر في اللفظ بل في التركيب كله وهذا هو التمثيل الذي يكون مجازاً لمجيبك به على حد الاستعارة⁽²⁾، ونستطيع إن نقول ان الاستعارة التمثيلية هي استعارة تصريحية على اعتبار ان التركيب الموجود هو المشبه به أما تركيب المشبه فهو محذوف يفهم من خلال السياق.

بلاغة الاستعارة:

لقد عرفنا كيف أن اختيار التركيب المناسب من جهة واختيار صورة مبتكرة للمشبّه به من جهة أخرى لهما أثرهما البارز في تحقيق بلاغة التشبيه وكيف تتضح هذه البلاغة من خلال التأثير في المتلقي ، وإذا ما عرفنا أن الاستعارة فرع من التشبيه فإنها أيضاً تقوم على ما قام عليه التشبيه ولكن التعديل الذي يطراً على التركيب والمتمثل بحذف أحد الطرفين (المشبّه او المشبه به) يهدف إلى

¹ - التلخيص ص 323

² - دلانل الإعجاز ص 53 _ 54

تناسي التشبيه إلى حد ما وإقناع المتلقي باتحاد صورة المشبه بصورة المشبه به ، وإذا ما اتضح التشبيه فإنه خفي مستور في الاستعارة كما في قول البحري يمدح الفتح بن خاقان¹:

يسمو بكف على العافين حانية تهمني وطرف إلى العلياء طمّاح

فبلاغة هذا البيت تأتي من الاستعارة التي صور من خلالها الشاعر كف الممدوح بالسحابة التي تصب وبلها على طالب العطاء ، فالشاعر قد أخفى التشبيه باختياره الاستعارة ليجعل من المعنى أكثر تأثيراً في السامع وتأتي بلاغة الاستعارة من كونها تؤكد المعنى في ذهن السامع وتجعله يتخيل أن المشبه هو المشبه به حتى يكشف النقاب عن التشبيه فيعرف أنهما مختلفان وقد أكد على ذلك الجرجاني الذي يقول أن فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في أنها تبرز البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدرها ونبلاً وتوجب له بعد الفصل فضلاً ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد حتى تراها مكررة في مواضع ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد وشرف منفرد ، ومن خصائصها التي تذكر فيها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر.

ومن خصائصها الأخرى تشخيص المعنويات وتجسيدها وبث الحركة والحياة في الجماد ، فإنك ترى بها الجماد حياً ناطقاً والأعجم فصيحاً والمعاني الخفية بادية جليلة ، فهي تريك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها جسمت حتى رأتها العيون ، وإن شئت لطفّت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون وهذه إشارات وتلويحات في بدائعها⁽²⁾ وفي هذا الباب نقف عند قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَهِيَ تَفُورُ) (تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)³ الشهيق في الآية استعير للصوت الفضيع وهما لفظتان والشهيق لفظة واحدة فهو أوجز على ما فيه من زيادة في البيان ، واستعارة (الغيظ) لشدة الغليان أوجز وأبلغ في الدلالة على المعنى المقصود ، لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس ولأن الانتقام الصادر عن الغيظ يقع على قدر غيظه ، ففيه بيان عجيب وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة⁽⁴⁾ ، وهذه الاستعارات التي تضمنتها الآية حققت الإيجاز والبيان وقد أسهمت في رسم نار جهنم وإبرازها في صورة تثير الرعب في

¹ ديوان البحري ص 444

² - أسرار البلاغة ص 43

³ سورة الملك 6-8

⁴ - كتاب الصناعتين ص 272

القلوب على هيئة مخلوق ضخم جبار مكفهر الوجه يغلى صدره غيظاً وحقدًا، فالاستعارة هنا رفعت الكلام إلى حد الإعجاز.

ومن الخصائص الأخرى للاستعارة والتي تتجسد فيها بلاغة الاستعارة المبالغة في إرادة المعنى ويتضح ذلك في إخراج ما لا يدرك إلى ما يدرك بإحدى الحواس مثل قول الشاعر البحتري في رثاء المتوكل عندما قتل:⁽¹⁾

صريع تقاضاه السيوف حُشاشة وجود بها والموت حمر أظافره

فالشاعر أخرج ما لا يدرك بالحواس وهو الموت، وجعله يدرك بالحواس من خلال استعارة صفة الحيوان المفترس له ، إذ شبه الموت بحيوان مفترس ، وحذف المشبه به، وهو الحيوان وأبقى على قرينة تدل عليه وهي (حمر أظافره) ولذلك كانت الاستعارة أبلغ من التشبيه لأن التشبيه فيها منسي، ولأن المعنى الذي يقصده المتكلم ، بعيد ويحتاج إلى كد الذهن والتأويل الذي يستند إلى ثقافة لغوية وأدبية عالية من أجل الوصول إليه والكشف عن أسرار جماله.

المبحث الثالث

الكناية:

¹ - ديوان البحتري ج 2، ص1048

الكناية:

لغة: كنى عن كذا كناية : تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح ، وقد كنى عن كذا بكذا ، وكنى كنية أي سمى الرجل بأبي فلان ،⁽¹⁾

اصطلاحاً : هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته ، و"هي عند أهل البيان أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني ، لا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء المعنى هو ردفه في الوجود فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه"² مثل قولهم (طويل النجاد) كناية عن الطول ، فالنجاد هو حمالة السيف ، ولما كانت طويلة ، فإن ذلك يعني طول من يحملها ، فعبر عن صفة الطول في الرجل بشكل غير مباشرة من خلال معنى مجاور للمعنى المقصود ، علماً أن المعنى الحقيقي متحقق لعدم وجود قرينة مانعة.

ويعد أبو عبيدة من أوائل العلماء الذين تعرضوا لهذا الفن البلاغي ، لكن الكناية عنده تمثل ما يفهم من الكلام من خلال السياق ، دون أن يذكر أسمه صراحة⁽³⁾ كما في قوله تعالى: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ)⁽⁴⁾ وهو كناية وتشبيه⁽⁵⁾ ، وهذا يعني أن المفهوم لم يكن واضحاً ، وقوله تعالى: (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ)⁽⁶⁾ كناية عن الغشيان⁽⁷⁾ ، ويستعمل أبو عبيدة الكناية استعمال اللغويين مثل سيبويه والفراء بمعنى الضمير فيمثل الكناية بقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)⁸ وقوله تعالى: (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)⁹ وقوله تعالى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)¹⁰ ثم يقول أن الله عز وجل كنى بالضمير في الآية الأولى عن الأرض وفي الثانية عن الشمس وفي الثالثة عن الروح⁽¹¹⁾ وقد وردت الكناية عند الجاحظ بمعناها العام وهو التعبير عن المعنى تلميحاً لا تصريحاً وإفصاحاً كلما اقتضى الأمر ، وقال أن الكناية والتعرض لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف⁽¹²⁾ وهو يجعل الكناية أحد الأساليب البلاغية التي يقتضيها الحال أحياناً إذ يقول " ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع

1 - لسان العرب مادة كنى

2 البرهان في علوم القرآن الزركشي، ج2، ص301

3 - معجم المصطلحات البلاغية ص568

4 - البقرة 223

5 - مجاز القرآن ج2 ص 73

6 - النساء 43

7 - مجاز القرآن ج1 ص 155

8 سورة الرحمن 26

9 سورة ص: 32

10 سورة القيامة: 26

11 - مجاز القرآن ج1 ص 154 وما بعدها

12 - البيان والتبيين ج1 ص 117

من المعاني نوع من الأسماء ، فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والإفصاح في موضح الإفصاح والكناية في موضع الكناية"⁽¹⁾ وإذا ما دققنا في كلام الجاحظ عن الكناية والشواهد التي أوردها في ذلك، فإننا نلاحظ أنه لا يفرق بينها وبين المجاز والتشبيه والاستعارة والتعريض ، وقد ذكر ابن المعتز فناً من محاسن الكلام سماه بـ (التعريض والكناية) إلا أنه لم يعرضهما وأدخل فيها ما سمي لغزاً وذكر قول بعضهم²:

أبوك أب ما زال للناس موجعاً لأعناقهم نقرأ كما ينقر الصقر

إذا عوج الكتاب يوماً سطورهم فليس بمعوج له أبدا سطر
والكناية عند المبرد تأتي على ثلاثة أوجه أحدهما التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي³:

أكني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

وقول ذي الرمة⁴:

أحب المكان الفقر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير معجم

أما الوجه الثاني: فهو الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش ، إلى ما يدل على معناه من غيره كقوله تعالى في المسيح وأمه عليهما السلام (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ)⁽⁵⁾ وهو كناية عن قضاء الحاجة. وثالثهما : التفخيم والتعظيم، ومنه اشتقت الكنية وهي أن يعظم الرجل أن يدعى باسمه، وقد وقعت في الكلام على ضربين : في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه، وفي الكبير أن ينادي باسم ولده صيانة لاسمه⁽⁶⁾.

ويذكر قدامة بن جعفر فناً بلاغياً يسميه الإشارة، وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها وقد وصفت البلاغة بأنها لمحة دالة⁽⁷⁾ ويذكر فناً آخر يسميه (الأرداف) وهو قريب من الكناية بمفهومها الأخير فالإرداف عند قدامة ؛هو أن يريد الشاعر

1 - الحيوان ج 1 ص 39

2 - ينظر: البديع ص 64

3 ديوان النابغة الجعدي، ت: د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1998 ص 157

4 ديوان ذي الرمة، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص 276

5 - سورة المائدة 57

6 - الكامل في اللغة والأدب ج 2 ص 674

7 - نقد الشعر ص 174

الدلالة على معنى من المعاني، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل بلفظ يدل على معنى ، هو ردفه وتابع له ، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع مثل قول عمر بن أبي ربيعة¹:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فالشاعر أراد في هذا البيت أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص، بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط (2) فهذا الشاهد من شواهد الكناية، ومفهوم فن (الإرداف) الذي يذكره قدامة يتطابق إلى حد ما مع مفهوم الكناية، فعلى الرغم من عدم تصريحه بمصطلح الكناية إلا أنه كان الأقرب إلى مفهومها الذي ثبتت عليه فيما بعد.

ولا يخرج ابن فارس عما ذكره المبرد عن الكناية وقد يكون في حديثه عنها متأثراً به ، فبعد أن عقد باباً لها في كتابه الصاحب في فقه اللغة تكلم عن صورتين من صورها ، أحدهما كناية التغطية ، وذلك بأن يكنى عن الشيء فيذكره بغير اسمه تحسناً للفظ ، وإكراماً للمذكور ، والثانية كناية التبجيل أي التعظيم مثل قولهم (أبو فلان) صيانة لاسمه عن الابتذال، وقد تكلم عن كناية الضمير وذكر قول حاتم³:

أماوي لا يعني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فالضمير المستتر في الفعل (حشرجت) يعود على الروح⁽⁴⁾ وتحدث ابن سنان عن حسن الكناية وعما يجب أن يكنى عنه في المواضع التي لا يحسن التصريح فيها ، وعد الكناية أصلاً من أصول الفصاحة وشرطاً من شروط البلاغة⁽⁵⁾ وتحدث عن الإرداف فقال: "ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى فلا يستعمل اللفظ الخاص بالموضوع له في اللغة بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة ، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع ، ويسمى الإرداف والتتبع لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المعنى وتابعة"⁽⁶⁾.

ويخلط العسكري بين الكناية والتعرض إذ يعدهما أمراً واحداً فيعرفهما بقوله: " الكناية والتعرض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح ، على حسب ما عملوا بالتورية عن الشيء"⁽⁷⁾ ثم يورد أمثلة لهما ومن ذلك قول أبي العيلاء عندما قيل له : ما تقول في ابن وهب ؟ قال "وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج" سليمان أفضل قيل : وكيف قال :

¹ شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، ت محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1952، ص200

² - شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة 176

³ ديوان حاتم الطائي، شرح احمد رشاد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 2002، ص23

⁴ - الصاحب في فقه اللغة ص 261 وما بعدها

⁵ - سر الفصاحة 192

⁶ - سر الفصاحة ص 270

⁷ - كتاب الصناعتين 368

"أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم" (1) وتحدث أيضاً عن الإرداف والتوابع وقال "إن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه تابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده وذلك مثل قوله تعالى: (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) (2) وقصور الطرف في الأصل موضوعة للعفاف على جهة التوابع والإرداف ، وذلك أن المرأة إذا عفت قصرت طرفها على زوجها فكان قصور الطرف ردفاً للعفاف ، والعفاف ردف وتابع لقصور الطرف" (3) وذكر المماثلة التي يقصد بها التمثيل ، لكنه استشهد عليها بشواهد تدخل في باب الكناية إذ يقول عنها : أن يريد المتكلم العبارة عن معنى فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر إلا أنه لا ينبئ إذا أورده عن المعنى الذي أراده كقولهم (فلان نقي الثوب) يريدون أنه لا عيب فيه وليس موضوع نقاء الثوب البراءة من العيوب وإنما استعمل فيه تمثيلاً (4).

ويخصص ابن رشيق القيرواني فصلاً خاصاً في كتابه العمدة للإشارة ، وبعد أن يبين فضلها وأثرها في الكلام يتكلم عن أنواعها ويجعل الكناية أحد هذه الأنواع ، إذ يقول أن الإشارة من غرائب الشعر وبلاغتها عجيبة تدل على بعد المرمى وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذر الماهر ، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملاً ، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه ، ومن أنواعها التفتيم والإيحاء والتعريض والتلويح والكناية والتمثيل والرمز ، وإشارة إلى أن العرب يكونون عن المرأة بالشجرة والنخلة والسرحة والبيضة والناقة والشاة والنعجة ثم أورد أمثلة على ذلك مثل قول حميد بن ثور عندما حظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشعراء ذكر المرأة⁵:

تجرّم أهلوها لأن كنت مشعراً جنوناً بها يا طول هذا التجرم
ومالي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي

وقول امرئ القيس⁶ :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

وقول عنتره⁷:

1 - كتاب الصناعتين 367

2 - الرحمن 56

3 - كتاب الصناعتين 350

4 - كتاب الصناعتين 353

5 ديوان حميد بن ثور، د. عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص123

6 شرح ديوان امرئ القيس ص148

7 شرح ديوان عنتره، ت. مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992، ص178

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

فالسرحة في قول حميد وهي الشجرة كناية عن المرأة و البيضة في قول امرئ القيس أيضاً كناية عن المرأة وكذلك الشاة في قول عنتره وعلى غرار ذلك يذكر قوله تعالى: (نَ هَذَا أَخِي لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ)⁽¹⁾ فالنعجة كناية عن المرأة.

وقد أخذ فن الكناية بالثبات من حيث المفهوم عند الجرجاني الذي قال عنه "الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تأليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه"⁽²⁾ وقد ضرب مثلاً على ذلك بقولهم (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة وقولهم كثير الرماد يعنون كثير القرى ، وقولهم (نؤوم الضحى) كناية عن المرأة المترفة المخدومة التي لها منهم يكفيها أمرها . وقد أرادوا من هذه كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان ، فلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ، وإذا كثر القرى كثر الرماد ، وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى.

ويشير الجرجاني إلى أن الجميع أجمع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح والتعريض أوقع من التصريح، وذلك لأننا عندما نكني عن المعنى بما يجاوره نزيد من إثباته ونعطينه قوة أكبر من شأنها أن تؤثر في المتلقي من خلال جعل المعنى أبلغ وأؤكد واشد ، فليست المزية في قولهم (جم الرماد). أنه دل على قرى أكثر بل أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ وأوجبته إيجاباً هو أشد ، وأدعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق ، فإذا جعلوا الكناية مزية على التصريح لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكني عنه ولكن في إثباته للذي ثبت له ،⁽³⁾.

ويرى الجرجاني هذا الكناي دقيقة المسلك لطيفة المأخذ من خلال ترك الصفة والذهاب إلى إثباته بهذا الأسلوب لضمان التوصيل والتأثير ، وذلك لما تمتلكه الكناية من مقومات جمالية وتعبيرية يعجز المرء عن وصفها فالصفة لا تأتي كاشفة عن وجهها بل يشار إليها بلطف وكذلك إثباتك الصفة للشيء تثبيتها لا إذا لم تلقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التعريض والكناية والرمز والإشارة كان له من الفضل والمزية ومن الحسن والرونق ما لا يقل قليله ولا يجهل موضع الفضيلة

¹ - سورة ص 23

² - دلائل الإعجاز ص 52

³ - ينظر دلائل الإعجاز 55- 56 ، 343

فيه⁽¹⁾ والجرجاني في كلامه هذا يتكلم عن قسم من أقسام الكناية وهو ما سماه المتأخرون كناية عن النسبة أي نسبة الصفة إلى الموصوف.

ويرى الرازي أن اللفظة إذا أطلقت وكان الغرض الأصلي غير معناها فلا يخلوا إما أن يكون معناها مقصوراً أيضاً ليكون دالاً على ذلك الغرض الأصلي ، وإما ألا يكون فالأول الكناية وفي الثاني المجاز⁽²⁾ ويرى السكاكي أن ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك هو من قبيل الكناية⁽³⁾ وبعد ذكره لعدة تعريفات يرجح ابن الأثير أن تكون الكناية هي كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز⁽⁴⁾ ويرى القزويني أن الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز أرادة معناه حينئذ⁽⁵⁾. ويرى ابن أبي الإصبع؛ أن الكناية هي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن وعن الفاحش بالظاهر⁽⁶⁾ ويذكر العلوي عدة تعريفات للكناية منها قوله " إنها اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة ومجازاً من غير واسطة لا على جهة التصريح"⁽⁷⁾.

ويرى الزركشي أن الكناية عن الشيء هي الدلالة عليه من غير التصريح باسمه وهي عند أهل البيان أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ويجعله دليلاً عليه فيدل على المراد من طريق أولى⁽⁸⁾. وقد فرق الحموي بين الكناية والإرداف فقال "الكناية هي الإرداف عند علماء البيان وإنما علماء البديع أفردوا الإرداف عنها، والكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود فيؤمى إليه ويجعله دليلاً ، أمام الأرداف فهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بعينه بل يعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه⁽⁹⁾.

1 - دلائل الإعجاز ص 236-237

2 - نهاية الإيجاز ص 102

3 - مفتاح العلوم 189

4 - المثل السائر ج 2 ص 194

5 - التلخيص 337

6 - تحرير التعبير 143

7 - الطراز ج 1 ص 373

8 - البرهان في علوم القرآن ج 2 ص 301

9 - خزنة الأدب 360 وما بعدها

الكناية بين الحقيقة والمجاز

لقد اختلف البلاغيون الذين جاءوا بعد الجرجاني في الكناية هل هي حقيقة أم مجاز فبعضهم أنكر أن تكون مجازاً فهي حقيقة ومنهم الرازي⁽¹⁾ وعز الدين بن عبد السلام الذي قال "الظاهر أن الكناية ليست من المجاز لأنك استعملت اللفظ فيما وضع له وأردت به الدلالة على غيره ولم تخرجه على أن يكون مستعملاً فيما وضع له"⁽²⁾ وعلى الرغم من أنه لم يقف عند طبيعة الكناية من حيث كونها مجازاً وحقيقة فإن الجرجاني يميل إلى أن الكناية ليست من المجاز وهذا ما نفهمه عندما تحدث عن الكناية وحددها بأن تترك اللفظ الموضوع للمعنى الذي تريد التعبير عنه وتأتي إلى معنى هو ردفه وتاليه فيعبر به وانتقل بالكلام عن المجاز إذ يرى أن المجاز قد عول الناس في حده على حديث النقل و كل لفظ نقل عن موضعه مجاز⁽³⁾ وهذا لا يمثل إخراج الكناية من المجاز فقط بل يشير إلى الفرق بينها وبين المجاز ومع هذا فإن الجرجاني لم يشر إلى أن الكناية من الحقيقة وقد يكون هذا هو ما جعل القزويني يختار مذهب التوسط بين الحقيقة والمجاز⁽⁴⁾ ويعلل الدسوقي رأي القزويني بقوله "الكناية إخراجها بناء على أنها واسطة لا حقيقة ولا مجاز ، أما أنها ليست حقيقة فلأنها اللفظ المستعمل فيما وضع له . والكناية ليست كذلك وأما إنها ليست مجازاً فلأنه اشترط فيه القرينة المانعة عن إرادة الحقيقة والكناية ليست كذلك ولذلك أخرجها من تعريف المجاز"⁽⁵⁾.

وذهب آخرون إلى أنها من المجاز ومنهم العلوي الذي يقول: "وهكذا اسم المجاز فإنه شامل لأنواع من الاستعارة والكناية والتمثيل"⁽⁶⁾ ، ويرى السكاكي أنها نازلة من المجاز منزلة المركب من المفرد⁽⁷⁾ أما ابن الأثير فقد عد الكناية من الاستعارة وقال كل كناية استعارة وليست كل استعارة كناية⁽⁸⁾ ليجعل الكناية أخص والاستعارة أعم وأشمل.

ويرى السيوطي أن هنالك أربعة آراء في هذه القضية فإضافة للآراء التي ذكرناها يذكر رأياً رابعاً وهو من اختيار الشيخ تقي الدين السبكي ويتلخص في أن الكناية تقسم إلى حقيقة ومجاز ، فإن

1 - نهاية الإيجاز في داربة الإعجاز ص 103

2 - البرهان في علوم القرآن ج 2 ص 301

3 - دلائل الإعجاز ص 53

4 - التلخيص 337

5 - حاشية الدسوقي ج 4 ص 26

6 - الطراز ج 1 ص 197

7 - مفتاح العلوم 157

8 - المثل السائر ج 2 ص 197

استعمل اللفظ في معناه من لازم المعنى أيضا فهو حقيقة وإن لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم من اللازم فهو مجاز فيما وضع له⁽¹⁾.

في الأخير إذا قصد المتكلم الدلالة الحقيقية في كلامه ، فإن الكناية لا تتحقق ، ولما كان المقصود هو الدلالة المجازية فإن الكناية داخلية في المجاز ، أما جواز إيراد المعنى الحقيقي لا يدخلها في الحقيقة ، وهذا الجوار هو معيار للفريق بينها وبين المجاز والاستعارة.

أقسام الكناية

في المرحلة الأولى من التأليف البلاغي لم يكن للكناية تقسيم واضح على الرغم من أن بعض البلاغيين قد ذكروا شواهد تدل على هذه الأقسام وقد قسمها ابن الأثير إلى قسمين : ما يحسن استعماله وما لا يحسن استعماله هو عيب في الكلام فاحش⁽²⁾ وقد قسم السكاكي الكناية إلى ثلاثة أقسام وهي الكناية المطلوبة بها نفس الموصوف والكناية المطلوب بها نفس الصفة والكناية التي يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف وقد تبعه في هذا التقسيم القزويني ومن جاء بعده من شراح التلخيص⁽³⁾ وقد استند هؤلاء في تقسيمهم إلى طبيعة المكنى عنه .

الكناية عن الصفة :

وهي الكناية المطلوب بها الصفة نفسها والمراد بالصفة المعنى القائم المطلق كالشجاعة والشهامة والجمال والنور وغير ذلك لا الصفة ذات الدلالة النحوية (النعت) وتتحقق هذه الكناية من خلال التصريح بالموصوف والنسبة إليه من خلال صفة أخرى تؤدي أو تعكس الصفة المطلوبة لكونها مجاورة لها أو ردفها مثل قوله تعالى (فأصبح يقلب كفيه) فهذا التعبير كناية عن الندم فتقليب الكف من لوازم الندم ومن شواهد هذا النوع من الكناية قول الخنساء⁴:

طويل النجاد رفيع العماد ساد عشيرته أمردا

فقد كنت الشاعرة عن طول صخر أخيها بقولها طويل النجاد فطول النجاد أي حمالة السيف يعني طول القامة وكنت عن سيادته وشرفه بقولها رفيع العماد وكنت عن شجاعته ورجاحة عقله وحكمته بقولها (ساد عشيرته أمردا) فالخنساء في هذا البيت لم تذكر صفاته صراحة ، بل ذكرت صفات أخرى كانت الدليل على الصفات الحقيقية التي أرادت الشاعرة إثباتها لأخيها صخر ، فهذه

¹ - الاتقان في علوم القرآن السيوطي ج2 ص 41

² المثل السائر ج2 ص200

³ - التلخيص 338 .

⁴ ديوان الخنساء، شرح: حمدو طناس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004، ص31

الكنائيات دليل السامع للوصول إلى المقصود ومن الشواهد الأخرى على الكناية قول طرفة بن العبد¹:-

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كراس الحية المتوقد

ففي هذا البيت يكني الشاعر عن صفات الصلابة في الجسم وخفة اللحم والذكاء ومن الأمثلة الأخرى قول الحصين بن حمام الفزاري²:

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا

فالشاعر في هذا البيت يكني عن الشجاعة وذلك من خلال ذكر معان ردف لها وهي تقطر الدم على الأقدام ومن الكنائيات الأخرى التي لا تستلزم الانتقال عبر عدة معاني للوصول إلى المعنى المطلوب قول نصيب³

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم ظاهره
فبابك الين أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكلبك أرأف بالزائرين من الأم بابنتها الزائره

فالكناية تتحقق في الانتقال من وصف الكلب الذي ألف الزائرين بعد أن أصبحوا معروفين عنده ، وهذا يعني أنهم يأتون مراراً وكثرة الزوار وتكرار مجيئهم دليل كرمه وإحسانه وهي الصفة التي كنى عنها الشاعر في البيت الثالث ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة⁽⁴⁾:

نظرت إليها بالمحصب من منى ولي نظرك لولا التخرج عارم

فقلت أشمس أم مصابيح بيعة بدت لك تحت السجف أم أنت حالم
بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها وإما عبد شمس وهاشم

فالكناية في البيت الثالث في قوله (بعيدة مهوى القرط) ومهوى القرط هو المسافة من الأذن إلى الكتف والشاعر يصرف جبينه بأنها بعيد مهوى القرط ، وهو يقصد طويلة الجيد أو الرقبة وهي

¹ ديوان طرفة بن العبد ،شرح مهدي محمد ناصر،دار الكتب العلمية ،بيروت، ط3 ، 2002، ص27
² شرح ديوان الحماسة، المرزوقي،ت غريد الشيخ،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 2003 ، ج1، ص146
³ شعر نصيب بن رباح، جمع د. داود سلوم، مطبعة الرشاد، بغداد، 1967، ص99
⁴ - ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص 200.

صفة حسنة وقد عدل عن التصريح واختار الكناية عن هذه الصفة لكي يثبتها ومن الشواهد الأخرى على هذا النوع من الكناية قول المتنبي¹:

فَمَسَّاهُمْ وَبَسَطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبَسَطَهُمْ ثَرَابٌ

وقوله أيضا (2) :

تَشْتَكِي مَا اشْتَكَيْتُ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النُّحُولُ

فالمتنبي في البيت الأول يصف الذين أوقع بهم سيف الدولة بأن بسطهم في المساء وقبل الإيقاع بهم كانت من الحرير ثم صارت في الصباح من التراب ، ففي البيت كنايةتان الأولى عن صفة العزة والسيادة وعبر عنها من خلال قوله (بسطهم حرير) فعندما تكون البسط من حرير لا بد أن يكون أصحابها أعزاء وسادة أما الكناية الثانية فقد كانت عن الذي في قوله (بسطهم تراب) فعندما تكون البسط التراب نفسه لا بد أن يكون أصحابها فقراء أدلاء وفي البيت الثاني تتحقق الكناية في كلمة النحول وهي كناية عن صفة وهي العشق فالعشق يتطلب ويستلزم النحول فهو من علامات العشق وقد عبر الشاعر عن صفة العشق بصورة غير مباشرة من خلال معنى مرادف له ومن شواهد الكناية قول الشاعر :

وَأَقْبَلْتُ يَوْمَ جَدِّ الْبَيْنِ فِي حُلٍّ سَوْدَ تَعَضُّ بَنَاتِ النَّادِمِ الْحَصْرِ

وقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)³ فالكناية في البيت الشعري (تعض بنات النادم) وهي كناية عن صفة الندم وقد عبر الشاعر عن هذه الصفة من خلال التعبير عن معنى مرادف له وهو العض على البنان أما في الآية الكريمة فهناك كنايةتان الأولى في قوله (لا تجعل يدك مغلولة) وهي كناية عن صفة البخل التي لم يصرح بها ، واختار أن يثبتها من خلال معنى آخر وهو (غل اليد) أما الكناية الثانية فهي قوله تعالى (لا تبسطها كل البسط) وهي كناية عن صفة التبذير التي لم يصرح بها ، واختار معنى آخر أثبت الصفة المقصود من خلاله ومن الشواهد الأخرى قول الشاعر (4) :

بِيضُ الْمَطَايِخِ لَا تَشْكُوا أَمَاوَهُمْ طَبِخُ الْقَدُورِ وَلَا غَسْلُ الْمَنَادِيلِ

وقول أبي نؤاس⁵:

رَأَيْتُ قَدُورَ النَّاسِ سَوْدًا مِنَ الصَّلَى وَقَدَّرَ الرِّقَاشِيَّ بِيضَاءَ كَالْبَدْرِ

¹ ديوان المتنبي ، ج 1 ، ص 95

² - ديوان المتنبي ج 2 ص 137.

³ سورة الإسراء 29

⁴ - رسائل الثعالبي، الثعالبي، مطبعة الجوانب، قسطنطينة، ط 1، 1301 هـ ، ج 1، ص 71 .

⁵ ديوان أبي نؤاس ، ت إيفالد فاغنر ، دار فرانز شتاينر، ج 2 ، ص 62

وقول الشاعر:

فتى مختصر المأكول والمشروب والعطر
نقي الكأس والقصعة والمنديل والقدر

وقول أعرابية لبعض الولاة (أشكو إليك قلة الجرذان).

وقول خالد بن يزيد بن معاوية¹:

تجول خلا خيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً يجول ولا قلباً
أحب بني العوام طراً لحبها ومن أجلها أحببت أحوالها كلباً

ففي الشاهد الأول هناك كناية تتحقق في أكثر من تركيب وهي كناية عن صفة البخل وقد عبر عن هذه الصفة من خلال إيراد معان أخرى تثبتتها وتؤكد لها مثل بيض المطابخ أي أنها نظيفة والنظافة دليل على عدم الطبخ الذي هو بالتالي دليل على البخل ، أيضاً عدم شكوى إماؤهم طبخ القدور وغسل المناديل تعد كناية عن البخل لأن ذلك دليل على عدم الطبخ الذي هو دليل على البخل ، أما في الشاهد الثاني فهناك كناية عن البخل أيضاً وقد عبر عنها الشاعر من خلال معنى آخر وهو اختصار الأكل والشرب والعطر ، ونقاء الكأس والمنديل والقدر وكل هذه كنايات عن صفة واحدة هي البخل ، أما قول الأعرابية ففيه كناية عن الفقر وقد عبرت عن هذه الصفة من خلال معنى آخر وهو (قلة الجرذان) فقلة الجرذان تستلزم قلة الأكل وقلة الأكل تستلزم الفقر ففي هذا الأسلوب بلاغة عالية وتأثير كبير في السامع وفي الشاهد الأخير يكتفي الشاعر عن صفة السمنة لدى حبيبته بصورة غير مباشرة عن طريق إثباتها من خلال معنى آخر وهو عدم تجول أو حركة الخلخال والسواد في يديها ورجليها وذلك يستلزم السمنة وهي الصفة التي قصدها الشاعر.

ثانياً الكناية عن موصوف :

وهي الكناية التي يطلب فيها الموصوف نفسه⁽²⁾ وفي هذا النوع يصرح بالصفة وينسبها إلى الموصوف من دون التصريح به ، إذ يذكر عنه صفة أو صفات تختص به وتدلل عليه ومن شواهد هذا النوع قول المتنبي⁽³⁾

فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب
ومن في كفة منه قناة كمن في كفة منهم خضاب

¹ الأغاني ، الاصفهاني ، ج17 ص511

² - معجم المصطلحات البلاغية 572 .

³ - ديوان المتنبي ج1، ص95

ففي البيت الأول كنايةان عن صفتين كما مر من قبل أما في البيت الثاني فهناك كنايةان عن موصوفين والموصوفان هما الرجل والمرأة اللذان لم يعبر عنهم مباشرة بل اختار معنى آخر، عبر من خلاله عنهما ففي قوله (ومن في كفه عنهم قنّاة) كنى عن الرجل ممسك القنّاة أي الرمح يستلزم الرجل وفي قوله (كمن في كفه منهم خضاب) كناية عن المرأة فالخضاب يستلزم المرأة ومن الشواهد الأخرى قول عمرو بن معد يكرب¹:

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الأضغان

والمخذم السيف القاطع والكناية في قوله (مجامع الأضغان) فالشاعر كنى بهذا التعبير عن القلب فهو مجمع الأضغان (الأحقاد) وهي كناية عن موصوف وهو القلب ومن الشواهد الأخرى قول أبي العلا المعري:

سليل النار دق ورق حتى كأن أباه أورثه السلّالا

فالكناية في قوله (سليل النار) الذي قصد به (السيف) الذي تسله النار وهي كناية عن موصوف ومن ذلك أيضا قول البحتري يصف قتله الذئب²:

فاتبعته أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحدق

وقول آخر :

قوم ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفة بمواطن الكتمان

فالكناية في بيت البحتري تتحقق في قوله (بحيث يكون اللب والرعب والحدق) وهنا إشارة إلى موصوف لم يصرح به الشاعر على سبيل الكناية عن الموصوف وهو القلب ، فاللب هو القلب والرعب والحدق مركزهما القلب ، أما في البيت الثاني فالكناية في قوله (مواطن الكتمان) وهي كناية عن موصوف وهو القلب الذي يمثل موطن كتمان الأسرار ومن الشواهد الأخرى على هذا النوع من الكناية قول أبي نواس (3):

ولما شربناها ودب ديببها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

وقول الآخر في رثاء من مات بعلّة في صدره :

¹ سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ص81

² ديوان البحتري، ج2، ص744

³ - ديوان أبي نواس، ص227.

ودب له في موطن الحلم علة لها الصلال الرقش شر دبيب

وقول الشاعر:

وإن حلفت لا ينقض الشيء عهدا فليس لمخضوب البنان يمين

وقول الشاعر¹:

رحلت فكم باك بأجفان شادن عليّ وكم باك بأجفان ضيغم

وقول الشاعر²:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

ففي الشاهد الأول يكتفي الشاعر أبو نواس عن موصوف وهو (القلب) من خلال ترك التصريح به واختيار معنى آخر وهو تابع له أو ردف له ليثبت من خلاله الموصوف وهذا المعنى هو قوله (مواطن الأسرار) فمواطن الأسرار هي القلوب التي لم يصرح بها وعكسها التركيب المذكور ، وفي البيت الثاني تتحقق الكناية في قول الشاعر (موطن الحلم) ومن عادة العرب أن تنسب الحلم إلى الصدر ، فالكناية هنا عن الصدر وهو موصوف وقد اختار الشاعر التعبير عنه من خلال الكناية لما لها من تأثير كبير في نفس السامع فضلا عن التعبير الذي اختاره الشاعر هو مما يوصف به الصدر، وفي البيت الثالث تتحقق الكناية في قول الشاعر (مخضوب البنان) وهي كناية عن موصوف وهذا الموصوف هو المرأة وذلك لأنها هي التي تخضب وذكر صفة بدلا عنه وهي (تخضب البنان) وقد لجأ الشاعر الى عدم التصريح بالموصوف وذلك كي يكون كلامه أكثر تأثيرا في السامع وفي البيت الرابع هناك كنيتان موصوف وكلمة شادن مما توصف به الأولى في قول الشاعر (فكم باك بأجفان شادن) وهي كناية عن المرأة وهي الدليل على الموصوف المرأة، أما الكناية الثانية فهي في قول الشاعر (باك بأجفان ضيغم) وهي كناية عن موصوف وهو الرجل وقد اختار الشاعر عدم التصريح بالموصوف ، واختيار صفة تدل عليه وهي كلمة ضيغم وهي مما يوصف بها الرجل.

في البيت الخامس تتحقق الكناية في قول الشاعر (أخلاهم من الفطن) وهي كناية عن موصوف وهو (الجهال) إذ ترك الشاعر الموصوف ولم يصرح به، وذكر صفة تدل عليه وهي خلوهم من الفطن ومن الشواهد الأخرى على الكناية عن الموصوف قول أحمد شوقي³:

¹ ديوان المتنبي، ج 2، ص 482

² ديوان المتنبي، ج 2، ص 549

³ الشوقيات، أحمد شوقي، دار العودة ، بيروت ج 2، ص 123

إن الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره في الضاد

فقد كنى الشاعر بالذي ملأ اللغات محاسن عن الله عز وجل وكنى بالضاد عن اللغة العربية ففي الكنايتين كنى الشاعر عن موصوف.

ثالثا : الكناية عن إثبات الصفة للموصوف:

وهي الكناية التي يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف وهي كناية عن نسبة⁽¹⁾ ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه وتتحقق بالتصريح بالصفة والموصوف دون التصريح بالنسبة بينهما وتذكر نسبة أخرى تستلزم النسبة المكنى عنها ومن ذلك قول زياد بن الأعجم يمدح عبد الله بن الحشر أمير نيسابور²:

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشر
ملك أغر متوج ذو نائل للمُعَفِّينَ يَمِيئُهُ لَمْ تَشْنَجِ

فالشاعر أراد أن يثبت السماحة والمروءة والندى خلا لا للممدوح فترك التصريح المباشر في أن يقول إن السماحة والمروءة والندى مجموعة في ابن الحشر أو مقصورة عليه ، وعدل إلى ما هو عليه في البيت من الكناية فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه وإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة والفخامة ويقول الجرجاني في معرض حديثه عن هذا الشاهد لو أن الشاعر أسقط هذه الوساطة من البيت لما كان إلا غفلا وحديثا ساذجا⁽³⁾ ومما يعد نظيرا لبيت زياد في هذا النوع من الكناية ، قول يزيد بن الحكم يمدح يزيد بن المهلب وهو في جيش الحجاج⁽⁴⁾:

أصبح في قيدك السماحة والمجد د وفضل الصلاح والحسب

فالشاعر أراد أن يثبت صفات السماحة والمجد، وفضل الصلاح والحسب للممدوح فترك التصريح المباشر واختار أسلوب الكناية عن نسبة الصفة إلى الموصوف ، فجعل كل تلك الصفات في القيد الذي ضرب عليه، ليقصد الشاعر المعنى المجازي لا الحقيقي، ومن الشواهد الأخرى قول أبي نواس⁽⁵⁾ :

فما جاوره جود ولا حل دونه ولكن يسير الجود حيث يسير

1 - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص 572

2 - شعر زياد بن الأعجم ، جمع وتحقيق ، يوسف حسين بكار ، دار المسيرة ، ط 1 ، 1983 ، ص 49

3 - دلائل الإعجاز ص 237

4 - دلائل الإعجاز ص 238 .

5 - ديوان أبي نواس 258 .

فالشاعر هنا يريد أن ينسب الكرم إلى ممدوحه وبدلاً من أن ينسب له هذه الصفة بشكل مباشر فيقول (هو كريم) كنى عنه بملازمة الجود إياه ومن شواهد هذه الكناية قول الشنفرى⁽¹⁾:

تحلُّ بمنجاةٍ من اللوم بيتها إذا ما بيوتٌ بالمذمة حلت

وقول الشاعر حسان بن ثابت²:

بنى العزُّ بيتاً فاستقرَّت عماده علينا فأعيا الناس أن يتحوّلا

وقول المتنبي⁽³⁾:

إن في ثوبك الذي المجد منه لضياء يرى بكل ضياء

وقول الشاعر:

اليمن يتبع ظلّه والمجد يمشي في ركابه

وقول الشاعر:

يصير إبان قرين السما ح والمكرمات معا حيث صارا

وقول البحري⁽⁴⁾

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول

وقول الشاعر أبي تمام⁽⁵⁾

أبين فما يزرن سوى كريم وحسبك أن يزرن أبا سعيد

ففي البيت الأول يقصد الشنفرى الصفة في الممدوح من خلال إثباتها في المكان الذي يكون فيه وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله، فالشاعر يثبت صفة العفة للمرأة، من خلال نفي اللوم عنها وأبعدها عنه بأن نفاه عن بيتها وباعد بينها، وبينه ومذهب الشنفرى لا يختلف عن مذهب زياد إلا بأنه استخدم أسلوب النفي، وفي البيت الثاني يبدع حسان بن ثابت في إخراج صورة الكناية التي يثبت فيها المجد لقبيلته فعلى الرغم من أنه جاء على غرار بيت زياد إلا أنه أبلغ وأجمل من خلال الاستعارة التي رافقت الكناية فهو جعل من المجد بيتاً تقوم دعائمه على قبيلة الشاعر وأن هذا المجد لم يتحول عنهم وطال اقترانه بهم حتى أعيا الناس، وبذلك ترك الشاعر التصريح بأن يقول ان قبيلته شهرته بمجدها واختار الكناية عن نسبه الصفة للموصوف وفيها يكون التعبير أبلغ وأكثر

1 - ديوان الشنفرى، تقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص36

2 - ديوان حسان بن ثابت، ت، عبد.أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994، ص207

3 - ديوان المتنبي ج1، ص51

4 - ديوان البحري ص 984 .

5 - ديوان ابي تمام ج1 ص 387 .

جمالية وتأثيراً في السامع ، وفي البيت الثالث يلجأ المتنبي أيضاً إلى الكناية التي يثبت فيها الصفة للموصوف تاركاً التصريح إذ يذكر الصفة وهي المجد وينسبها إلى إحدى متعلقات الممدوح وهو الشرب فيحقق بذلك نسبة الصفة للموصوف عن طريق الكناية ، وفي البيت الرابع يصرح الشاعر بالصفة وهي (المجد) وينسبها إلى الموصوف المكنى عنه بصفة من صفاته وهي (ظله) وهي كناية نسبة صفة إلى موصوف وهو الممدوح ، وفي البيت الخامس تتحقق الكناية في قول الشاعر (قرين السماح والمكرمات معا حيث صار) فهو يثبت الصفة المتمثلة بـ (السماح والمكرمات) في الممدوح على سبيل الكناية عن نسبة ، وفي البيت السادس يجعل البحتري يجعل من المجد رجلاً له رحل نزل به في الممدوحين (آل طلحة) ولم يتحول عنهم ، فاختار الكناية عن نسبة ، على التصريح إذ ذكر الشاعر الصفة وهي المجد ، ونسبها إلى مكان الموصوف ، وبذلك أثبت الصفة للموصوف وهو الممدوح من خلال جعله المجد والممدوح في مكان وجعله يكون بحيث يكون ، وفي البيت السابع وهو من لطيف هذه الكنايات، ربط الشاعر بين الكرم والممدوح بالزيادة أي أنه أثبت الكرم للممدوح من خلال اقتصار الزيادة على الكرم أولاً ، وتحقق الزيادة للممدوح ، وبذلك تكون هذه الكناية وهي كناية نسبة صفة إلى موصوف، بالغة الجمال من خلال احتياجها إلى بعض التأويل للوصول إليها فضلاً عن جدة أسلوبها، وقد وظف هذا النوع من الكناية العديد من الشعراء نذكر منها قول الشاعر⁽¹⁾ :

متى تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرة من تميم

وقول زهير السكب التميمي²:

إذا الله لم يسق إلا الكرام فسقى وجوه بني حنبل
وسقى ديارهم باكراً من الغيث في الزمن المُمَجَّل

وقول الشاعر في البرامكة³

سألت الندى والجود مالي أراكما تبدلتما ذلاً بعز مؤبـد
وما بال ركن المجد أمسى مهتما فقالا أصبنا بآبن يحيى محمد
فقلت فهـلا متما عند موته فقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزي بقصده مسافة يوم ثم نتلوه غـد

¹ - دلائل الإعجاز ص 241 ، مفتاح العلوم ، السكاكي، ص 522.

² الأغاني، ج 22، ص 451

³ المستطرف في كل فن مستظرف، الابشيبي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ج 1، ص 241

ففي الشاهد الأول تتحقق الكناية عن النسبة من خلال نفي خلو تميم من الكرم بوجود مسلمة بن عمرو وبذلك فقد أثبت صفة الكرم انه الممدوح وفي الشاهد الثاني اثبت الشاعر صفة الكرم أيضا إلى بني حنبل الممدوحين وذلك من خلال إقراره بأن الله سقى وجوههم وهو لا يسقى إلا الكرام وبذلك تنسب الصفة إلى الموصوف ، وفي الشاهد الثالث نجد أكثر من كناية يثبت فيها الشاعر الصفات إلى الممدوح (الموصوف) ومن هذه الكنايات قوله (ربط الندى والجود بابن يحيى فانتهدت بوفاته) وكذلك المجد الذي تهدم بموت ابن يحيى وتكرر الكناية عن النسبة عندما يجعل الشاعر من الندى والجود عبيدين للمرثي ، وكل ذلك كناية عن نسبه ترك الشاعر التصريح يحيى كي يكون التعبير ابلغ وأقوى.

بلاغة الكناية :

تقترب الكناية من المجاز من خلال اتخاذها الأسلوب غير المباشر في التعبير عن المعاني بغية خلق الأسلوب المؤثر الذي يتسم بجماليات التصوير فهي تؤدي المعنى من خلال إطلاق لازمة ، وتتكشف بلاغة الكناية من خلال التصريح فمثلا نحن لا نصرف الضوء إلا من خلال إطلاق لازمة ، وتتكشف بلاغة الكناية أنها تعطي الحقيقة مع الدليل الذي ينص عليها كما في قول البحثري⁽¹⁾ :

يغضون فضل اللحظ من حيث ما بدا لهم عن مهيب في الصدور محبب

فالشاعر كنى عن إكبار الناس للممدوح وهيبتهم أياه بغض الأبصار والذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال وتظهر هذه الخاصية بشكل واضح في الكنايات عن صفة وعنه نسبه⁽²⁾. ومن خصائص بلاغة الكناية الأخرى؛ أنها تشكل المعاني في قوالب حسية ، كي تكون واضحة للمتلقى ، فتحوّلت كثير من المعاني المعنوية إلى صورة حسية ملموسة مثل الكرم من خلال كثرة (الرماد) والمجد كما في بيت البحثري الذي ينسب فيه المجد إلى آل طلحة عن طريق الكناية عن نسبه.

ومن خصائص الكناية أنها تمكن المتكلم من أن يشفى غله من خصمه من غير أن يجعل إليه سبيلا وهذا ما يسمى بالتعرض، وكذلك تسهم الكناية في تفخيم المعنى في نفوس السامعين.

¹ - ديوان البحثري ص 67 .

² - جواهر البلاغة ص 359 .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاتقان في علوم القرآن السيوطي ،ت مركز الدراسات الاسلامية،ط،مجمع الملك فهد،السعودية
- الآثار الكاملة أدونيس دار العودة بيروت ط2 1971
- أسرار البلاغة،عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد محمود شاكر،،دار المدني، جدة، ط1، 1991 .
- الأصمعيات، الأصمعي،ت أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون،ط5، بيروت ،
- أصول البلاغة،كمال الدين البحراني، تحقيق د/عبد القادر حسين، دار الشروق، القاهرة 1981،
- إعجاز القرآن، الباقلاني تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة
- الأعمال الكاملة للشاعر حسن عبد الله الشرفي ،مجد للدراسات والنشر ، يروت ، 1997
- الأغاني ،الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي ،بيروت
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني،دار الكتب العلمية بيروت.
- البديع ابن المعتز،دار الجيل ،بيروت ،ط1، 1990
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1957
- البيان والتبيين الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط2، 1960.

- تأويل مشكل القرآن ،ابن قتيبة، ت أحمد صقر، القاهرة ،1954.
- تحرير التعبير،ابن أبي الإصبع، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة 1383هـ
- التلخيص في علوم البلاغة، القزويني، ت ،عبدالرحمن البرقوقي، ط 2، القاهرة، 1932
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،الرماني، الخطابي،الجرجاني، ،ت محمد خلف الله ،محمد زغلول،
دار المعارف ، القاهرة ،1932
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،الثعالبي،ت محمد أبو الفضل إبراهيم،المطبعة العصرية
بيروت، ط1، 2003
- جواهر الألفاظ ،قدامة بن جعفر،ت محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،
- جواهر البلاغة ،سيد أحمد الهاشمي ،داغر احياء التراث العربي،القاهرة، ط12 .
- حاشية الدسوقي ،محمد بن أحمد الدسوقي،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 2002.
- حدائق السحر في دقائق الشعر ،الوطواط ، ترجمة إبراهيم الشواربي ، تقديم أحمد الخولي ،
المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط 2 ، 2009 م.
- حسن التوصل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين الحلبي تحقيق د.أكرم عثمان يوسف ، بغداد
1980
- حلية المحاضرة ، الحاتمي ،ت د.جعفر الكناني،بغداد ،1979.
- الحماسة البصرية ،علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري،ت عادل سليمان ،مطبعة الخانجي
القاهرة، ط1، 1999،
- الحيوان ، الجاحظ، ت عبد السلام محمد هارون،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2
1965،
- خزانة الأدب،ابن حجة الحموي، ت عصام شعيتو ،مكتبة الهلال ، بيروت ط1، ، 1987.
- الخصائص، ابن جني، الهيئة المصرية للكتاب ،القاهرة ، ط4 ،
- دلائل الإعجاز : الجرجاني دار المعرفة بيروت 1982م.
- ديوان الأعشى،شرح محمد حسين،مكتبة الآداب ،القاهرة،
- ديوان الإمام علي(عليه السلام)،جمع عبد العزيز الكرم، ط1، 1988
- ديوان ابن خفاجة ،مطبعة المعارف ،مصر
- ديوان ابن الرومي،ت حسين نصار،دار الكتب والوثائق القومية ،القاهرة، ط2، 2003
- ديوان ابن طباطبا العلوي،

- ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت،
- ديوان أبي البقاء الرندي، ت، حياة قادرة، مركز البابطين، الكويت، ص13
- ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر ط 5
- ديوان أبي الحسن التهامي، ت محمد عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1982
- ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994
- ديوان أبي نؤاس، ت ايفالد فاغنر، دار فرانز شتاينر
- ديوان أبي نواس. دار صادر
- ديوان البارودي، ت علي الجارم، محمد شفيق معروف، دار العودة بيروت، 1988،
- ديوان البحري، ت حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3،
- ديوان بشار بن برد. ت محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية، 2007
- ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، ت نعمان محمد امين، دار المعارف، القاهرة، ط3
- ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت
- ديوان الجواهري، دار العودة، بيروت،
- ديوان حاتم الطائي، شرح احمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002
- ديوان حسان بن ثابت، ت، عبد.أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994
- ديوان الحطيئة، ت مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993
- ديوان حميد بن ثور، د، عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة
- ديوان الخنساء، شرح :حمدو طناس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004
- ديوان ذي الرمة، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995،
- ديوان زهير بن أبي سلمى، ت علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988
- ديوان الشريف الرضي، شرح يوسف شكري، دار الجيل بيروت، ط1، 1995،
- ديوان شعر مسكين الدارمي، ت كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط1، 2000،
- ديوان الشنفرى، تقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996
- ديوان الصنوبري، ت إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1998
- ديوان طرفة بن العبد، شرح مهدي محمد ناصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2002
- ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، ت حسان فلاح، دار صادر، بيروت، ط1، 1997،

- ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار بيروت، بيروت، 1982
- ديوان عمرو بن كلثوم، ت أيمن ميدان، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط1، 1992،
- ديوان الفرزدق. ت علي فاغور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987،
- ديوان قيس بن الخطيم، ت، ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، 1967،
- ديوان كثير عزة، ت، إحسان عياس، دار المعرفة، بيروت، 1971.
- ديوان كعب بن زهير، ت علي فاغور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997،
- ديوان الكميت بن زيد الاسدي، ت محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000،
- ديوان المتنبي. د. عمر فاروق الطباع، دار الارقم، بيروت، ط1، 1997.
- ديوان معن بن أوس المزني، طبعة لندن 1903
- ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح، طلال حرب، دار العالمية
- ديوان النابغة الجعدي، ت: د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1998
- ديوان النابغة الذبياني، ت، حنا نصر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991،
- ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965،
- ديوان وجيه الدولة الحمداني
- رسائل الثعالبي، الثعالبي، مطبعة الجوانب، قسطنطينة، ط1، 1301 هـ
- روض الأخيار المنتخب من ربيع الأنوار، ابن الخطيب، محمد فاخوري، دار القلم العربي،
- سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982، 1.
- شتاء عاطل (ديوان شعر) جواد الحطاب دار أسامة عمان – الأردن ط 1 1997
- شجر الكلمات (ديوان شعر) د. علي حداد دار أسامة عمان – الأردن ط1 1998
- شرح ديوان أبي تمام، شرح راجي الاسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1994.
- شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي، المكتبة الثقافية، بيروت، ط1، 1982
- شرح ديوان الحماسة أبو تمام، المرزوقي، غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، ط1، 2003،
- شرح ديوان سقط الزند، ابو المعري، دار صادر، بيروت، 1957
- شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة، ت محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1،
- 1952
- شرح ديوان عنتره، شرح طراد مجيد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992،

- شرح هاشميات الكميت، تحقيق داود سلوم ، نوري حمودي القيسي ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ط1 1985

- شروح سقط الزند للتبريزي والبطلوسي والخوارزمي، ت، مصطفى السقا وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1987 .

- شعر زياد بن الأعجم ، جمع وتحقيق ، يوسف حسين بكار، دار المسيرة، ط1، 1983 ،
- شعر دعل الخزاعي صنفه عبد الكريم الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق، ط2

1983

- شعر نصيب بن رباح، جمع د. داود سلوم، مطبعة الرشاد، بغداد. 1967 ،
- الشوقيات ، أحمد شوقي، دار العودة ، بيروت
- الصاحبى في فقه اللغة ، ابن فارس، احمد حسن بسج، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1997 .
- الطراز ، العلوي، ت عبد الحميد الهنداوي ، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 2002، 1 .
- العمدة في محاسن الشعر ، ابن رشيق ، ت محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت ، ط5 ،
1981 .

- القاموس المحيط الفيروزابادي ، ت محمد نعيم العرقسوسي، دار الرسالة، القاهرة، ط8 ، 2005 .
- قواعد الشعر ، ثعلب ، ت رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط2 ، 1995 .
- الكامل في اللغة والأدب، المبرد ، ت محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي ، بيروت ط3
1997،

- الكتاب أمس المكان الآن ، أدونيس ، مركز دراسات في لندن ط 1995م
- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل
إبراهيم، القاهرة 1952 ،

- الكشف، الزمخشري ، ت عبد الرزاق المهدي ، دار احياء التراث ، ط2، 2001 .
- لسان العرب، ابن منظور، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ط3
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، بن الأثير، ت د. احمد الحوفي ود. بدوي طبانة، مطبعة
الرسالة، مصر، (د.ت)

- مجاز القرآن أبو عبيدة ت د. محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة
- مجموع أشعار العرب مشتمل على ديوان روية، دار ابن قتيبة، الكويت،

- المحتسب ،ابن جني،ت د.علي حليم النجار وآخرون،دار سركين ،ط2 ، 1986 .
- المستطرف في كل فن مستظرف، الابشيهي ،دار مكتبة الحياة، بيروت ،1992
- المطول، سعد الدين التفتازاني ، ت د.عبد الحميد الهنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1 2011،
- معاني القرآن،الفراء،ت أحمد يوسف نجاتي،محمد علي نجار،عبدالفتاح إسماعيل شلبي ،دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د .أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 2007 م.
- مفتاح العلوم، السكاكي، ت د.عبد الحميد الهنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط2 ، 2011 .
- المفضليات،ت أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون،دار المعارف ،مصر ، ط6 ، 1963
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد السجلماسي ت، علال الغزي، الرابط - المغرب 1980،
- الموازنة بين أبي تمام والبحثري الآمدي ،تحقيق حمد صقر ،دار المعارف، القاهرة،
- مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي،ت خليل ابراهيم خليل،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1 ، 2003 .
- موجز الأخطاء (ديوان شعر) عبد الرزاق الربيعي ، جنيف ط1 1999
- نزهة النساء في أشعار النساء،السيوطي،مكتبة القرآن ،القاهرة،1986،
- نقد الشعر قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة 1963
- نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز ، فخر الدين الرازي ، القاهرة 1317هـ ،
- نهاية الأرب في فنون الأدب،النويري، ت مفيد قميحة ،دار الكتب العلمية ،بيروت.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه،القاضي عبد العزيز الجرجاني،ت محمد ابو الفضل إبراهيم،مطبعة عيسى البابي الحلبي،1966 .
- وفيات الأعيان ،ابن خلكان،ت احسان عباس ،دار المعرفة ،بيروت.
- يتيمة الدهر ،الثعالبي ،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط1 ، 1979 .